البابا شنوده الثالث

في الحوار اللاهوتي

اللاهوت المقارن

"الجزء الأول"

عادل نصيف

البابا شنوده الثالث

في الحوار اللاهوتي

اللاهوت المقارن

"الجزء الأول"

Comparative Theology Vol I

By H. H. Pope Shenouda III

الطبعة الثانية
ابريل ١٩٩٢
القاهرة

2ed Print
April 1992
Cairo

تقرر تدريس هذا الكتاب في الكلية الإكليريكية بكل فروعها .

إسم الكتاب : اللاهوت المقارن جـ ١ .
إسم المؤلف : البابا شنوده الثالث
الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية ـ القاهرة .
الطبعة : الثانية ١٩٩٢م .
رقم الإيداع : ١٩٩١/٨١٨٣



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ١١٧

قصة هذا الكتاب

قمت بتدريس مادة اللاهوت المقارن ، وأنا أسقف للتعليم ، واستمر تدريسي هذه المادة لطلبة الكلية الإكليريكية حتى الآن .

وقد أصدرنا عدة كتب في هذا المجال .

منها كتابان في مناقشة موضوع (الخلاص) ، هما [الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي] ، و[بدعة الخلاص في لحظة] للرد على أفكار بروتستانتية أرادت أن تزحف إلى داخل أرثوذكسيتنا عن طريق بعض الخدام... ثم أصدرنا كتاباً ثالثاً عن [الكهنوت] ناقشنا فيه الآراء التي تنكر سر الكهنوت أو تعممه أو تؤمه ، وبخاصة الفكر البلموسي .

وأصدرنا كتاباً رابعاً عن [المطهر] أثناء حوارنا اللاهوتي مع الأخوة الكاثوليك ، وكتاباً خامساً عن [طبيعة المسيح] يشرح معتقدنا في الحوار الدائر حول الطبيعة والطبيعتين ، الأمر الذي أوجد إنقساماً في الكنيسة منذ منتصف القرن الخامس .

وهذا الكتاب السادس الذي بين يديك يمس خلافات كثيرة بيننا وبين أخوتنا البروتستانت .

تشمل موضوعات لاهوتية وعقائدية ، حول المعمودية ، والتقليد ، والشفاعة ، وإكرام القديسة العذراء مريم ، ودوام بتوليتها ، والصوم ، والحكم الألفي ، والتوبة ووساطة الكنيسة... وموضوعات أخرى طقسية حول البخور ، والصور والأيقونات ، والهيكل والمذبح ، والأنوار والشموع ، وإكرام الصليب ورشمه ، والإتجاه إلى الشرق .

وهي محاضرات كنا قد ألقيناها في الدير على طلبة الإكليريكية سنة ١٩٨٤ .

وطبعت في ذلك الوقت على هيئة مذكرات دراسية . ثم تُرجمت إلى الإنجليزية وطُبعت في لوس أنجلوس بأمريكا ، ثم ترجمت وطبعت مرة أخرى في لندن . وأخيراً رأينا أن نطبعها باللغة العربية ليدرسها أولادنا في مصر وفي البلاد العربية .

تبقى موضوعات أخرى لم تحوها هذه المذكرات .

مثل الصلاة بالأجبية التي سنصدر عنها كتاباً في القريب العاجل إن شاء الله . ومثل انبثاق الروح القدس ، وهو مجال حوار لاهوتي بيننا وبين الكاثوليك أيضاً . ونرجو أن ننشره قريباً ، مع خلافات أخرى عقائدية بيننا و بين الكاثوليك .

* * *

وفي كتاب الكهنوت تعرضنا لنقط خلاف أخرى بيننا و بين البروتستانت حول (سر الأفخارستيا) ، وأيضاً (الإعتراف على الكاهن) ، وكذلك (الأبوة الروحية) وموضوعات أخرى .

* * *

إن الحوار اللاهوتي ليس عراكاً أو حرباً ، كما كان قديماً !!

ولكنه نقاش في محبة ، رغبة في الوصول إلى فهم مشترك ، بطريقة روحانية . ونحن في هذا الكتاب نعرض فكرنا الأرثوذكسي ، ونرد على ما يوجه إلينا من اعتراضات . ونبحث كل شيء بطريقة موضوعية .

نرجو من روح الله القدوس أن يقودنا جميعاً إلى الفكر الواحد والإيمان الواحد ...

مقدمة

الإيمان الواحد وصحة التعليم

علم اللاهوت هو العلم الذى يتحدث عن الله تبارك إسمه . ولا يجوز أن يتحدث عن الله ، إلا الذى عرفه أو على الأقل من قد تتلمذ على الذين عرفوه .

ويحتاج علم اللاهوت إلى دقة فى التعبير، ودقة فى التفسير ومعرفة بالمصادر التى يعتمد عليها و يثق الكل بصدق إيمانها . ونحن ككنيسة تقليدية traditional وكنيسة محافظة conservative نحافظ على الإيمان الرسولى المسلم لنا من القديسين (يه ٣) ، ولا نبتدع شيئاً فى الدين ، ولا ننقل التخم القديم الذى وضعه آباؤنا (أم ٢٢ : ٢٨) .

والإيمان فى الكنيسة هو « إيمان واحد » (أف ٤ : ٥) . والكنيسة تذكرنا كل يوم بهذا الإيمان الواحد ، فى قطعة نصليها باكر كل يوم من (أف ٤ : ٥) .

هذا الإيمان الواحد ، هو إيمان كل عضو من أعضاء الكنيسة ، ومصدره الأساسى هو الكتاب المقدس . ثم أقوال الآباء القديسين وقوانين المجامع المقدسة المعتمدة ، وما تسجل فى كتب البيعة ، و بخاصة كتب الطقس الكنسى . وكلها موافقة للكتاب المقدس ، وتسمى فى مجموعها بالتقاليد الكنسية .

والميزان الذى نزن به التقليد السليم ، إشتراط هام هو موافقته للكتاب المقدس . وفى ذلك يقول معلمنا بولس الرسول «إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم ، فليكن أناثيما » (غل ١ : ٨ ، ٩) .

ولذلك كانت الكنيسة حريصة جداً فى عصورها الأولى ، منذ أيام الرسل ، على سلامة التعليم ، حفظاً لسلامة الإيمان . وهكذا يقول القديس بولس الرسول لتلميذه القديس تيطس أسقف كريت « وأما أنت فتكلم بما يليق بالتعليم الصحيح » (تى ٢ : ١) . وهذا التعليم الصحيح كان يتسلمه الآباء الأساقفة الأول من الرسل مباشرة ، ليسلموه

لأجيال أخرى أمينة على التعليم ، فينتقل من جيل إلى جيل . وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف وما سمعته منى بشهود كثيرين ، أودعه أناساً أمناء ، يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً » (٢تى ٢ : ٢) .

* * *

مهمة التعليم هى عمل الإكليروس :

كان التعليم هو مهمة الآباء الرسل ، ومن بعده تلاميذهم من الآباء الأساقفة والكهنة ، ثم الشمامسة . ولم يكن مطلقاً مهمة العلمانيين .

السيد المسيح سلم مهمة التعليم للآباء الرسل إذ قال لهم « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) . وقال لهم أيضاً « إذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) ، ولم يقل لعامة الناس .

واعتبر الرسل أن مهمة الكرازة ، والتعليم ، وخدمة الكلمة ، وتسليم الإيمان ، هى مهمتهم الأساسية . وقالو فى هذا « وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة » (أع ٦ : ٤) . وقال القديس بولس الرسول « ... بواسطة الإنجيل الذى جُعلت أنا له كارزاً ورسولاً ومعلماً للأمم » (٢تى ١ : ١١) ، « كارزاً بملكوت الله ومعلماً » (أع ٢٨ : ٣١) .

* * *

وقد سلم الرسول مهمة التعليم والكرازة لتلاميذه الأساقفة . فقال لتلميذه القديس تيموثاوس « إكرز بالكلمة ... عظ بكل أناة وتعليم » (٢تى ٤ : ٢) . وقال لتلميذه تيطس الأسقف « تكلم بهذه ، وعظ ووبّخ بكل سلطان » (تى ٢ : ١٥) . وانتقل عمل التعليم أيضاً إلى القسوس ، ورجال الكهنوت عموماً ، مما سنذكره بالتفصيل فى حينه . ذلك لأنه « من فم الكاهن تُطلب الشريعة » (ملا ٢ : ٧) .

ومن مجموعة الآباء الأساقفة ، كانت تتشكل المجامع المقدسة التى لها سلطان التشريع والتقنين فى الكنيسة المقدسة . وكثير من الآباء الأساقفة كانت إجاباتهم فى شئون الدين تعتبر قوانين مقدسة تعترف بها الكنيسة الجامعة .

أما أمور الإيمان والعقيدة ، فكانت مهمة الكنيسة ممثلة فى مجامعها وأساقفتها ويشرحها الآباء الكهنة ويفسرونها للناس .

أما العلمانيون فكانوا باستمرار فى موقف المتعلمين .

ولم يصر رجال الكهنوت معلمين فقط من فوق منابر الكنائس ، وإنما أيضاً فى موقف الإرشاد الروحى فى الإعترافات وما إليها .

* * *

وأمور الإيمان والعقيدة ، لا يجوز فيها للمعلمين أن يعلموا آراءهم وأفكارهم الخاصة ، وإنما يعلمون الثابت فى عقيدة الكنيسة كما هى مسلمة لهم. لأنه لو أعطيت الحرية لكل إنسان أن ينشر أفكاره الخاصة ، لتعددت مذاهب التعليم ، ولا يمكن أن نسمى هذه بعقيدة الكنيسة .

* * *

كل إنسان حر فى عقيدته . وقد تنحرف حرية الإعتقاد ، ولكن هذه كلها تكون خارج إيمان الكنيسة الواحد . والكنيسة المحافظة على الإيمان الساهرة عليه لا تسمح بهذا ، ولا تعطى سلطة التعليم لكل أحد . وتراجع أقوال المعلمين على الإيمان المسلم للقديسين . و يبقى قول بولس الرسول (غل ١ : ٩) ميزاناً ثابتاً ...

* * *

وأحياناً يكون سبب الخطأ فى الإيمان أو فى التعليم ، هو الخلطة مع مذاهب أخرى والتأثر بها وبمعلميها ، أو التتلمذ على أولئك أو على كتبهم .

وأحياناً يكون السبب فى ذلك هو الإعتداد بالفكر الخاص ، وعدم قبول تغييره ، وعدم طاعة الكنيسة فى ذلك . وربما يكون السبب وجود كبرياء فى القلب تقنع شخصاً بأنه على حق وكل ما يعارضه مخطىء ، وأنه يفهم ما لا يفهمه غيره ...

* * *

وقد كانت الكنيسة طوال تاريخها فى ملء الحرص على سلامة التعليم . يكفى أن قساً فى الإسكندرية ـ هو أريوس ـ بسبب تعليمه الخاطىء تدخل البابا القديس بطرس خاتم الشهداء والبابا الكسندروس الذى عقد مجمعاً لذلك فى الإسكندرية حضره مائة أسقف من أساقفة الإسكندرية وليبيا ، ثم عقد المجمع المسكونى فى نيقية سنة ٣٢٥م . الذى حضره ٣١٨ أسقفاً من كافة أنحاء العالم المسيحى . وكل ذلك من أجل قس أخطأ فى التعليم ، وصارت هناك خطورة من إنتشار تعليمه . ولم يقل أحد : نترك الأمر لحرية الإعتقاد ... !

من أجل بحث الخلافات العقائدية ، وُجد علم اللاهوت المقارن . ومن أجل الوصول إلى وحدة فى الإيمان ، وُجد الحوار اللاهوتى .

وفى ظل الحوار اللاهوتى نقدم هذا الكتاب ، بكل حب ، وبطريقة موضوعية بحتة ، دون أن نجرح شعور أحد .

فنحن نؤمن بروحانية الحوار اللاهوتى ، وموضوعيته .

ملاحظة هامة :

ليس الكل تعليماً واحداً

نحن فى هذا الكتاب نتكلم عن الاطار العام للبروتستانتية .

ولكن داخل هذا الإطار توجد بعض التفاصيل التى يختلفون فيها .

فمثلاً فى المعمودية : الإطار العام عند البروتستانت هو عدم إعطاء المعمودية أهمية فى موضوع الخلاص . فالخلاص عندهم بالإيمان .

ولكن من جهة التفاصيل : البعض يؤمن أن المعمودية بالرش ، والبعض يراها بالتغطيس ، والبعض يوافق على الأمرين ... وكذلك البعض يوافق على معمودية الأطفال ، والبعض لا يوافق .

ولكننا نبحث الأمر من الناحية الموضوعية ، دون أن نقصد طائفة بروتستانتية معينة ... وهكذا مع باقى الخلافات ...



مجمل خلافاتنا مع البروتستانت

الخلافات كثيرة : بعضها فى العقيدة والإيمان ، وبعضها فى الطقوس ، والبعض الثالث فى النظام الكنسى ، وفى أمور العبادة ... وسنحاول أن نتناول ذلك كله ، أو أهم نقاطه ، بشىء من الإيجاز أو السرد السريع . ثم نتناوله تفصيلياً بالتحليل فى ضوء الكتاب المقدس ، ونرد عليه .

وأهم الخلافات بيننا وبين البروتستانتية ما يلى :

١ - اعتقادهم بالطبيعتين والمشيئتين فى السيد المسيح :

بينما تؤمن الكنيسة القبطية أن طبيعة السيد المسيح اللاهوتية وطبيعته الناسوتية متحدتان معاً فى طبيعة واحدة هى طبيعة الكلمة المتجسد . ونحن نؤمن أن السيد المسيح كامل فى لاهوته ، وكامل فى ناسوته . وأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين . لذلك لا نتكلم مطلقاً عن طبيعتين بعد الاتحاد . هذا التعبير الذى بسببه رفضنا مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م . [انظر كتاباً أصدرناه عن طبيعة المسيح] .

* * *

٢ - انبثاق الروح القدس :

يعتقد البروتستانت مثل الكاثوليك بانبثاق الروح القدس من الآب والابن (انظر

ابراهيم سعيد ، والدكتور وطسن : شرح أصول الإيمان ج ١ السؤال ٦٣ ص ٥٩) وهذا مخالف لعقيدة كنيستنا التى تؤمن بانبثاق الروح القدس من الآب وحده حسبما ورد فى (يو١٥ : ٢٦) .

★ ★ ★

٣ ـ عدم إيمانهم بأسرار الكنيسة السبعة :

وإن وجد عندهم شيء من ذلك ، لا يسمونه سراً . مثال ذلك : يوجد زواج عند البروتستانت ، ولكنه مجرد رابطة أو عقد بين اثنين ، وليس سراً كنسياً . كذلك توجد عندهم معمودية ، ولكنها ليست سراً كنسياً بكل فاعليته ... و يسمونها فريضة .

★ ★ ★

٤ ـ لا يؤمنون بالتقليد Tradition أو التسليم الرسولى :

فهم لا يؤمنون إلا بالكتاب المقدس فقط ، ولا يقبلون كل القوانين الكنسية ، ولا المجامع المقدسة وقراراتها ، ولا يلتزمون بتعاليم الآباء . و بالتالى لا يقبلون كل ما قدمه التقليد من نظم كنسية .

★ ★ ★

٥ ـ لا يقبلون الكهنوت :

فهم إما ينادون بكاهن واحد فى السماء وعلى الأرض ، هو يسوع المسيح ، دون أى كهنوت للبشر . وإما أن يقولوا إننا جميعاً كهنة ، ولا فارق فى ذلك بين إنسان وآخر . ومن يدعى (قساً) من الطوائف البروتستانتية ، لا يقصد به أنه كاهن . إنما هذا لقب يعنى عندهم أنه خادم أو راع ، أو معلم ، وليس كاهناً يمارس الأسرار الكنسية .

وإن كانوا لا يؤمنون بالكهنوت ، فمن باب أولى لا يؤمنون برئاسة الكهنوت . و يرون أن الكنيسة هى جسد واحد ، له رأس واحد هو يسوع المسيح . ولا توجد رئاسة كهنوت من البشر . بحيث يرون رئاسة المسيح للكنيسة لا تسمح بوجود رئاسات بشرية .

ونتيجة لهذا لا يؤمنون طبعاً بسلطان كنسى أياً كان ...

نستثنى من كل هؤلاء الانجليكان أو الاسقفيين ، الذين توجد فى كنيستهم درجات الأسقف والقس والشماس ، ولهم أيضاً رؤساء أساقفة ، مثل رئيس أساقفة كانتربرى ، ورئيس أساقفة يورك وغيرهما . ولكنهم يعتقدون بزواج الأساقفة . وقد رسموا حالياً قسوساً من النساء ، واسقفاً إمرأة . وقد وضعنا كتاباً خاصاً عن الكهنوت يمكن الرجوع إليه .

* * *

٦ ـ خلافات كثيرة فى موضوع الخلاص :

من أهمها التركيز فقط على الإيمان ، وعدم الاهتمام بكل ما عداه ، وهنا يعتمدون على عبارة «آمن بالرب يسوع فتخلص ..» (أع ١٦ : ٣١) . و يرون أنه بمجرد إيمان الإنسان يخلص ، فى نفس لحظة إيمانه . وكأنهم بهذا ينكرون الأسرار اللازمة للخلاص ، مثل المعمودية والتوبة . و ينكرون دور الكنيسة فى موضوع الخلاص الذى يعتبرونه مجرد علاقة مباشرة مع الله .

ومن ضمن الموضوعات التى هى مجال خلاف : مدى امكانية هلاك المؤمن إذا ارتد ، فيرون أن المؤمن لا يمكن أن يهلك مهما سقط ...

ومن الخلافات البارزة فى موضوع الخلاص ، مسألة الإيمان والأعمال .

ففى تركيزهم على الإيمان يغفلون جانب الأعمال . وفى اهتمامهم بعمل النعمة ، ينكرون لزوم الجهاد . وأكثر هؤلاء بعداً عن التطرف من يقولون أن الإيمان ينبغى أن يكون إيماناً عاملاً بالمحبة (غل ٥ : ٦) .

[وقد وضعنا كتابين عن الخلاص : أحدهما الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى ، والثانى عن بدعة الخلاص فى لحظة ..] .

* * *

٧ ـ ينكرون الطقوس :

البروتستانتية ضد الطقوس . وهذا بند واسع تفاصيله كثيرة . وبالتالى لا يعترفون بأية ليتورجيات (صلوات طقسية) . لايستخدمون ما عندنا من كتب طقسية ، مثل القطمارس والابصلمودية وصلوات اللقان وطقس السجدة وطقوس البصخة والشعانين ،

والطقوس التى تصاحب كل سر من أسرار الكنيسة وما إلى ذلك .

* * *

٨ ـ خلافات فى المعمودية :

لعل من أهمها لزوم المعمودية للخلاص . كذلك لزوم المعمودية للأطفال . ولا يؤمنون بكل فاعلية المعمودية ، ولا علاقة المعمودية بالولادة الجديدة و بالتبرير وغفران الخطايا ، ما سنورده فيما بعد . وهكذا تتحول المعمودية فى البروتستانتية إلى اسم بلا مفعول ، لأن كل ما ننسبه إلى المعمودية من فاعلية ، ينسبونه كله إلى الإيمان . وكأنها أصبحت مجرد علامة أو مجرد طقس ، بينما هم لا يؤمنون بالطقوس ... ومع ذلك ليس لكل البروتستانت إيمان واحد فى المعمودية . فمنهم من يوافق على معمودية الأطفال ، ومنهم من يوافق أن المعمودية بالتغطيس ... مع خلافات أخرى ...

* * *

٩ ـ لا يؤمنون بالاعتراف :

ونقصد عدم إيمانهم بالاعتراف على الآباء الكهنة : من جهة لأنهم لا يؤمنون أصلاً بكهنوت البشر ، ومن جهة أخرى لأنهم يرون الاعتراف على الله مباشرة . و يتبع هذا طبعاً ، أنهم لا يؤمنون بالتحليل الذى يقرأه الكاهن على رأس المعترف ، ولا يؤمنون بسلطان الحل والربط جملة .

[هذا وقد شرحنا سرّ الاعتراف ، وسلطان المغفرة المعطى من الله للكهنة ، فى كتابنا : الكهنوت] .

* * *

١٠ ـ لا يؤمنون بسر الافخارستيا :

فى البروتستانتية لا توجد قداسات ، ولا ذبيحة إلهية ، ولا يؤمنون باستحالة الخبز والخمر إلى الجسد والدم الأقدسين . وهكذا لا يوجد تناول من هذه الأسرار المقدسة . وكل ما يفعلونه لتنفيذ وصية الرب (لو٢٢: ١٩) هو احتفال فى بعض المواسم ، فيه كسر الخبز ، لمجرد الذكرى . و يدعون ذلك فريضة وليس سراً كنسياً .

وهكذا فإنه لا يوجد مذبح فى الكنائس البروتستانتية ، لأنه لا توجد ذبيحة ...

يستثنى من ذلك الانجليكان (الأسقفيين). فعندهم مذابح وقداسات، و يؤمنون باستحالة الخبز والخمر إلى الجسد والدم...

[وقد شرحنا موضوع سرّ الافخارستيا فى كتابنا : الكهنوت] .

* * *

١١ - خلافات بالنسبة إلى الكتاب المقدس :

على الرغم من اهتمام البروتستانت بالكتاب إهتماماً كبيراً، على الرغم من كلامهم عن (الحق الكتابى)، إلا أننا نأخذ عليهم هنا أمرين هامين :

أ - عدم إيمانهم ببعض أسفار الكتاب مثل طوبيا، يهوديت، يشوع بن سيراخ، وباروخ، وسفر الحكمة، سفرى المكابيين وبعض أجزاء أخرى من الكتاب... واعتبارهم إنها أبوكريفا، وعدم ضمها إلى الكتاب مثلما تضم فى ترجمة الكاثوليك للكتاب....

ب - لا يتعاملون مع العهد القديم بالاحترام اللائق لكل تعاليمه، كما لو كان السيد المسيح قد نقض الناموس أو الأنبياء. أو اعتبار اشياء جوهرية فى العهد القديم، وكأنها كانت مجرد رموز، وانتهت فى العهد الجديد! فإذا أثبتنا عقيدة بآيات من العهد القديم، لا يقبلون ذلك على اعتبار أنه من العهد القديم! وعلى هذا فإن الخط الذى يفصل بين الرمز والحقيقة الثابتة فى العهد القديم، غير واضح أمامهم، أو نختلف نحن معهم فيه...

* * *

١٢ - لا يؤمنون بأصوام الكنيسة :

قد يقبلون الصوم كعمل فردى فى أى وقت. ولكنهم لا يوافقون على أصوام محددة فى مواعيد معينة يصومها كل الشعب. فهم لا يصومون الأربعاء والجمعة، ولا أسبوع الآلام، ولا الصوم الكبير، ولا صوم الميلاد، ولا صوم العذراء، ولا صوم الرسل، ولا باقى الأصوام. كما لا يؤمنون بالصوم النباتى.

لا يقبلون قيداً على الإنسان فى أكله وشربه بأية صورة ...

* * *

١٣ - لا رهبنة فى البروتستانتية :

لا يوجد نظام الرهبنة إلا عند الأرثوذكس والكاثوليك . أما الرهبنة فلا وجود لها فى البروتستانتية . وكل رتب الخدام متزوجون .

حتى فى الكنيسة الأسقفية ، التى هى فى وضع متوسط بين الكاثوليكية والبروتستانتية ، وتؤمن ببعض أسرار الكنيسة كالكهنوت والافخارستيا ، لا يوجد فيها رهبنة ، ولا تبتل ، فالأساقفة ورؤساء الأساقفة متزوجون أيضاً ...

سمعنا أخيراً عن وجود رهبنة عند بعض الألمان البروتستانت ...

* * *

١٤ - لا يؤمنون بالصلاة على الموتى :

فلا يطلبون الرحمة لنفس الميت ، ولا النياح له . كل ما يحدث أن يدخل جثمان الميت إلى الكنيسة لتقرأ بعض الفصول وتلقى العظة . لمجرد تعزية أسرة المتوفى ، أو للاستفادة من الموت . ولكن لا يصلون مطلقاً من أجل الميت ، ولا يطلبون مغفرة ، ولا يسألون الله من أجل أبدية هذا الذى انتقل .

* * *

١٥ - لا شفاعة فى البروتستانتية :

لا يؤمنون بشفاعة الملائكة ولا العذراء ولا القديسين ، ولا شفاعة الموتى فى الأحياء ، ولا الأحياء فى الموتى . لا وساطة اطلاقاً بين الله والناس . وهذا يقود إلى نقطة أخرى ، أو يتسبب عنها ، وهى :

١٦ - عدم إكرام القديسين :

لا اكرام للملائكة ولا للعذراء ولا للقديسين ، فلا يحتفلون بأعياد القديسين ، كما نفعل نحن . ولا يقرأون فى الكنيسة سنكساراً يشمل سير القديسين . ولا توجد عندهم تماجيد للقديسين ، ولا ذكصولوجيات ، ولا تداكيات ، ولا صلاة مجمع ، ولا إكرام لعظام القديسين ، ورفات أجسادهم .

وهذه النقطة تقود إلى نقطة أخرى وهى :

١٧ - لا أيقونات ولا صور فى البروتستانتية :

وقد أخذت (حرب الايقونات) دوراً هاماً فى التاريخ بينهم وبين الكاثوليك . فلا يؤمنون بوجود صور وأيقونات فى الكنيسة ، ولا بإيقاد شمعة أمام صورة أحد القديسين ، ولا بنذر ينذر على اسمه ، فهذا نوع من طلب شفاعة وهم لا يؤمنون بالشفاعة .

وتتعلق بهذا الموضوع نقطة أخرى وهى :

* * *

١٨ - عدم بناء الكنائس على اسماء القديسين :

فلا تبنى كنيسة على اسم ملاك أو شهيد أو قديس ، ولا تتسمى باسمه . إنما قد تتسمى الكنيسة باسم المدينة أو الحى مثل الكنيسة الانجيلية بشبرا ، أو الكنيسة الانجيلية باسيوط ... أو قد تتسمى الكنيسة باسم فضيلة مثل كنيسة الرجاء ... ولكنها لا تحمل اسم قديس ...

أما الأسقفيون فتوجد عندهم كنائس باسماء القديسين مثل كاتدرائية جميع القديسين فى القاهرة مثلاً ، أو كاتدرائية سان بول بلندن ...

* * *

١٩ - الكنيسة كبناء :

البعض يتطرف فينكر الكنيسة كبناء ، على اعتبار أن الله مالىء السماء والأرض ، لا يسكن مكاناً ، ولكن عموماً توجد كنائس للبروتستانت . ولكنها بلا هياكل ولا حجاب ، ولا تتقيد بمنارات أو قباب ، وبلا أيقونات . كل ما فيها منبر للوعظ ومقاعد ، كالجمعيات التى تتخصص فى الوعظ عندنا .

٢٠ - لا اتجاه إلى الشرق :

كنائس البروتستانت لا تتجه إلى الشرق مثل كنائسنا . كذلك إذا وقفوا للصلاة لا يتجهون إلى الشرق ، بل فى أى اتجاه حسب موضع كل منهم .

* * *

٢١ ـ لا بخور ولا شموع :

لا يستخدم البخور فى الكنائس البروتستانتية . ولا يوجد طقس رفع بخور عشية ، ولا طقس رفع بخور باكر. ولا تصحب الصلوات ببخور. والمبخرة غير موجودة فى الكنيسة اطلاقاً . كذلك لا توجد شموع . ولا يصحبون قراءة الانجيل باضاءة شموع .

★ ★ ★

٢٢ ـ لا توجد صلاة قنديل :

(أى صلاة مسحة المرضى) . سواء اعتبرت سراً من أسرار الكنيسة أم لا ، هم لا يؤمنون بالأسرار، أو بأية صلاة طقسية ، ولا بالصلاة على المرضى كسر كنسى ، فيه تقديس الزيت والدهن به .



٢٣ ـ لا صلوات أجبية :

لا يؤمنون بالصلوات السبع التى للكنيسة ، لا بمواعيدها ولا بمحتوياتها . ولا يلتزمون بمبدأ الصلوات المحفوظة عموماً . يصلى كل إنسان متى يشاء وكيفما يشاء .

وهذا يقود إلى نقطة أخرى وهى صلاة (أبانا الذى فى السموات) . لا يستخدمونها فى بدء الصلاة ولا فى نهايتها ، ولا يلتزمون بها اطلاقاً كما لا يلتزمون مطلقاً بصلاة المزامير. ولا مانع فى بعض الاجتماعات من أن تردد الصلاة الربانية ، باعتبار أنه لا خطأ فى ذلك . ولكن بغير التزام .



٢٤ ـ الحكم الألفى :

و يؤمنون أن السيد المسيح سيأتى فى آخر الزمان ، ويحكم ألف سنة على الأرض يكون فيها الشيطان مقيداً . و يسود فيها السلام ، و يرعى فيها الحمل مع الأسد ...

ولكن توجد اختلافات بين البروتستانت فى تفاصيل الحكم الألفى .



٢٥ ـ لا يؤمنون بدوام بتولية العذراء :

بل يعتقدون أنها تزوجت بيوسف النجار ، وأنجبت منه بنين عرفوا باسم «اخوة يسوع» (متى ١٣ : ٤٧). ولا يكرمون العذراء . وكثيراً ما يلقبونها باسم «أم يسوع» ولا يوافقون على عبارة «الممتلئة نعمة» (لو١ : ٢٨) بل يترجمونها «المنعم عليها» . وينكرون صعود جسد العذراء إلى السماء، الأمر الذى يعتقد به الكاثوليك والأرثوذكس ، ولا يحتفلون بأى عيد من أعياد السيدة العذراء .

وبعضهم يقول عن العذراء إنها « أختنا » ... !!

* * *

٢٦ ـ يؤمنون بحرية العقيدة وتنوعها :

فكل إنسان له الحق فى أن يعتقد ما يشاء ، ويعلم بما يشاء ، وينشر ما يشاء من معتقدات ، دون سلطة كنسية تمنعه . فهم لا يؤمنون بالسلطة الكنسية . ومن هنا نشأت عشرات المذاهب البروتستانتية تختلف فيما بينها فى كثير من العقائد وإن كان يضمها إطار عام . فى بعض النقاط .

ويقولون إن هذا لون من التعدد Plurality يثرى فكر الكنيسة ! وكأنه لا يلزم أن يكون للكل إيمان واحد (أف ٤ : ٥) .

* * *

٢٧ ـ مواهب الروح القدس :

كثير من المذاهب البروتستانتية تؤمن باستمرار موهبة الألسنة ، ويعتبرونها دليلاً على الملء بالروح ، أو دليلاً على قبول الإنسان للروح القدس . والبعض يقبل وجودها وانتشارها ولزومها ولكن ليس للكل .

ولعل هذا واضح جداً فى طائفة الخمسينيين ، وفى جماعات الكرزماتيك Chrismatics .

* * *

٢٨ ـ ينكرون الأبوة الروحية :

فلا يدعون أحداً أباً ، ولا قساً ، ولا أسقفاً ، معتمدين على فهم خاطىء لقول

السيد المسيح للآباء الرسل « لا تدعوا لكم أباً على الأرض » (متى ٢٣ : ٩) .

[وقد أجبنا على هذه النقطة بتوسع فى كتابنا : الكهنوت] .

* * *

٢٩ - لا يستخدمون رشم الصليب :

مع أهمية الصليب فى البروتستانتية كوسيلة الرب لفداء البشر، إلا أنهم لا يكرمون الصليب كما يكرمه الأرثوذكس . لا يوجد عندهم عيد للصليب كما يوجد عندنا . ولا يبدأون الصلاة برشم الصليب وباسم الآب والابن والروح القدس ، كما نفعل نحن . ولا ينهونها كذلك . ولا يمسك رعاتهم صلباناً فى أيديهم ، لأنه للرشم وللبركة ، وهم لا يؤمنون باستخدام الصليب للبركة ، ولا بصدور بركة عن الآباء الكهنة، ولا بطريق الرشم .

ونشكر الله أن كثيراً منهم يعلقون حالياً صلباناً على الكنائس ، وما كانوا يفعلون ذلك من قبل .



٣٠ - عقيدة الاختيار :

وفيها يؤمنون بعقيدة هى : اختيار الله البعض للخلاص ، منذ الأزل ، وعلى مبدأ النعمة المطلقة ، وعلى مبدأ سلطان الله المطلق . وكما يقولون « إن الله بمجرد مسرته قد اختار منذ الأزل بعضاً للحياة الأبدية « فرز الله لبعض من الناس ، وتعينهم بالقضاء الإلهى للحياة الأبدية » .




الفصل الثانى
المعمودية

الخلافات بيننا وبين البروتستانت حول المعمودية

تتركز الخلافات فى المعمودية حول **خمس نقاط هامة هى :**

١ ـ ما هى أهمية المعمودية وفاعليتها فينا ؟

هل حسب إيماننا الأرثوذكس ننال بها الخلاص والتطهير والتبرير والتجديد والميلاد الثانى والعضوية فى جسد المسيح ؟ أم أن كل ذلك يُنال بالإيمان حسب المعتقد البروتستانتى ؟ وعندئذ ماذا تكون فائدة المعمودية ؟ هل هى مجرد علامة على المسيحية ؟ أم هى مجرد طاعة للسيد المسيح الذى أمر بها ؟ (مت ٢٨ : ١٩) .

٢ ـ بواسطة مَن تتم المعمودية ؟

نحن فى الأرثوذكسية نشترط أن الذى يجريها للمؤمن لابد أن يكون كاهناً شرعياً . أما البروتستانت فلا يؤمنون بالكهنوت البشرى إطلاقاً . وعندهم تتم المعمودية بواسطة خادم ليس كاهناً . من الجائز أن يكون شيخاً أو قسيساً ، أو شيخة أو قسيسة عند الطوائف التى تسمح للمرأة بهذه الوظيفة . وعلى أية الحالات فإن الشيخ أو القسيس ليس من الكهنوت حسب المعتقد البروتستانتى .

٣ ـ نحن نؤمن أن المعمودية سر من أسرار الكنيسة ، والبروتستانت لا يرونها كذلك .

٤ ـ نحن نجرى المعمودية بالتغطيس . وهى عندهم بالرش .

٥ ـ نحن نعمد الأطفال على إيمان الوالدين . أما البروتستانت فلا يؤمنون بمعمودية الأطفال ، لأنهم يشترطون إيمان المعمد ذاته .

ولكن بعض البروتستانت يوافقون على معمودية الأطفال على إيمان والديهم . وهكذا اتفق معنا الإنجيليون فى مصر .

وتبقى بعد هذا **اعتراضات يقدمونها** وتحتاج إلى إجابة ، مثل :

أ ـ ما مدى كفاية الإيمان ؟ ألا يكفى بدون معمودية ؟

ب ـ كيف خلص اللص اليمين بدون معمودية ؟

ج ـ هل الماء له مثل هذه القيمة التى تلد وتجدد ... ؟

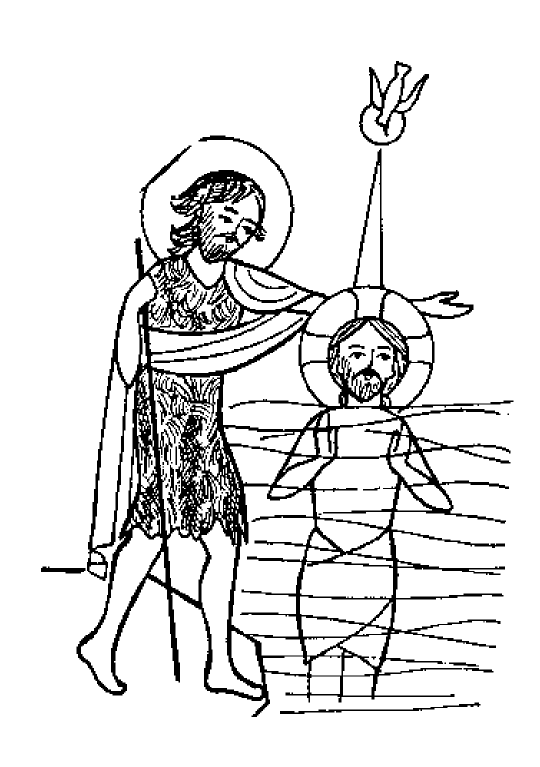
د ـ لماذا يلزم وجود كاهن ؟ ... وماذا إذا كان الكاهن الذى يعمد المؤمن هو نفسه سىء السيرة ؟

هـ ـ إن كانت المعمودية تجديداً ، فلماذا نخطىء بعدها ؟ .

و ـ كيف يرث الطفل خطية والديه اللذين سبق لهما العماد وغفرت خطاياهما ؟

ز ـ هل الماء فى المعمودية يرمز إلى الكلمة يقول الرسول عن علاقة المسيح بالكنيسة : « مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة » (أف ٥ : ٢٦) .

وسنحاول أن نتناول هذه النقاط واحدة فواحدة ...



فاعليّة المعمودية

١ ـ المعمودية يتم بها الخلاص :

حسب قول السيد المسيح : « مَن آمن واعتمد ، خلص » (مر ١٦ : ١٦) . ولم يقل : " مَن آمن خلص " ، وإنما اشترط المعمودية إلى جوار الإيمان .

وقال القديس بولس الرسول « ... بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) . وقال القديس بطرس الرسول عن الفلك « الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء ، الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية » (١بط ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

* * *

٢ ـ بالمعمودية ننال الميلاد الثانى ، من الماء والروح :

أ ـ وذلك حسب قول السيد المسيح لنيقوديموس : « إن كان أحد لا يُولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يو ٣ : ٣) ثم فسرها له بقوله : « إن كان لا يُولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) ... وأضاف : « المولود من الروح هو روح ... هكذا كل مَن وُلد من الروح » . وهكذا اعتبر كل مَن وُلد من الماء والروح ، يكون قد وُلد من فوق ، أو يكون قد وُلد من الروح . هذا هو الميلاد الثانى .

والعجيب أن بعض البروتستانت يريد الهروب من هذه الآية بقوله : لم يقل الرب كل مَن يعتمد من الماء والروح ، بل قال كل مَن يولد ... !

ولا شك طبعاً أنهما تعبير واحد ، لأنه ما معنى « يُولد من الماء » سوى أنه « يعمد » لأن المعمد يخرج من بطن المعمودية . كما أن كلام القديس بولس الرسول

يؤكد نفس المعنى...

ب ـ يقول القديس بولس : « بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثانى » (تى ٣ : ٥) وقال عن الكنيسة : « مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة » (أف ٥ : ٢٦) واعتبر الرسول أن غسل الماء (بالمعمودية) هو غسل الميلاد الثانى. وهو غسل من الخطايا.

★ ★ ★

٣ ـ المعمودية هى غسل من الخطايا :

حسب الآيتين السابقتين.

وأيضاً حسب قول حنانيا الدمشقى لشاول الطرسوسى بعد أن دعاه الرب : « أيها الأخ شاول... لماذا تتوانى ؟ قم اعتمد واغسل خطاياك » (أع ٢٢ : ١٦).

وهنا نرى أنه من نتائج المعمودية غسل الإنسان من خطاياه. وفى مثال شاول الطرسوسى هذا نرى عجباً. لقد دعاه السيد المسيح بنفسه، ليكون رسولاً للأمم، وإناء مختاراً يحمل اسمه، و يتألم من أجل اسمه (أع ٩ : ١٥، ١٦). ومع ذلك لم تغفر خطاياه بهذا اللقاء مع الرب، ولا بإيمانه ولا بصيرورته رسولاً، إنما ظل محتاجاً إلى المعمودية لكى يغسل خطاياه.

ولعل بولس الرسول كان يتذكر باستمرار هذا الغسل من الخطية بالمعمودية، فقال لأهل كورنثوس : « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع و بروح إلهنا » (١ كو ٦ : ١١) ذلك لأنهم اعتمدوا باسم يسوع المسيح، فنالوا المغفرة، كما قال القديس بطرس لليهود.

★ ★ ★

٤ ـ المعمودية بها مغفرة الخطايا :

وذلك أنه لما آمن اليهود يوم الخمسين ونخسوا فى قلوبهم، قالوا ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة ؟ أجابهم القديس بطرس الرسول قائلاً : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا... » (أع ٢ : ٣٨).

ولو كان إيمان اليهود فى ذلك اليوم كافياً لمغفرة خطاياهم، ما كان الرسول العظيم

يطلب منهم أن يعتمدوا لغفران الخطايا ...! وبخاصة فى ذلك اليوم التاريخى يوم تأسيس الكنيسة، وهو يوم ترسى فيه مبادىء هامة للخلاص.

★ ★ ★

ولعل البعض يسأل: كيف تُغفر الخطايا فى المعمودية؟ فنجيب:

٥ - المعمودية هى موت مع المسيح وقيامة معه:

يقول الكتاب: «أجرة الخطية هى موت» (رو ٦: ٢٣) وقد بدأ طريق الخلاص بالموت، إذ مات المسيح عنا. وكان لابد أن نموت مع المسيح أو على الأقل نتشبه بموته حسب قول الرسول: «لأعرفه وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبهاً بموته» (فى ٣: ١٠). ونحن نفعل ذلك فى المعمودية. وكيف؟

يقول الرسول: «أم تجهلون اننا كل مَن اعتمد ليسوع المسيح، اعتمدنا لموته. فدفنا معه بالمعمودية للموت» (رو ٦: ٣، ٤). ويستمر فى تأكيد هذا التعبير فيقول: «متنا معه... دفنا معه. قد صرنا متحدين معه بشبه موته... إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه...».

ويقول الرسول أيضاً فى (كو ٢: ١٢): «مدفونين معه فى المعمودية» مؤكداً نفس المعنى...

ولماذا كل هذا؟ يقول الرسول: «فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن اننا سنحيا معه» (رو ٦: ٣-٨).

المعمودية إذن لازمة للخلاص، لانها شركة فى موت المسيح. لانها إيمان بالموت كوسيلة للحياة، واعتراف بأن أجرة الخطية هى موت.

وفى هذا الفصل من (رو ٦) تبدو لنا ملاحظتان هامتان:

أ - عبارة: «دُفنا فى المعمودية» تعنى التغطيس، كوضع الإنسان داخل القبر.

ب - يبدو من نتائج المعمودية أيضاً «صلب إنساننا العتيق».

★ ★ ★

وفى هذا الفصل أيضاً نتيجة أخرى للمعمودية وهى:

٦ - فى المعمودية عملية تجديد :

يقول الرسول : « فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما اقيم المسيح ... هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة » (رو ٦ : ٤) أى فى الحياة الجديدة ... هذه التى تُمنح لنا بالمعمودية . طبيعتنا إذن تتجدد فى المعمودية . وكيف ذلك ؟

* * *

٧ - فى المعمودية نلبس المسيح :

يقول الرسول : « لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣ : ٢٧) هل توجد عبارة أقوى من هذه تدل على عظم فاعلية المعمودية ؟!

تلبس المسيح ... تلبس ما فيه من برّ ، يهبه لك كنتيجة للمعمودية . تلبس الخلاص الذى وهبه لك فى المعمودية بدمه ... تلبس الصورة الإلهية (تك ١ : ٢٦) التى فقدناها بالخطية الأولى .

* * *

ورموز إلى المعمودية فى العهد القديم تعطى نفس المعنى :

أ - فمن ضمن هذه الرموز كان الفلك . وفيه يقول القديس بطرس الرسول : « ... إذ كان الفلك يُبنى ، الذى فيه خلص قليلون أى الثمانى أنفس بالماء . الذى مثاله يخلّصنا نحن أيضاً أى المعمودية » (١ بط ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

نشرح أن المعمودية فيها الخلاص ، بالماء ، كما حدث فى الفلك مع الذين خلصوا من موت الطوفان بفلك نوح ، مثال المعمودية .

وهذا يؤيد ما سبق أن قلناه عن الخلاص بالمعمودية حسب قول الرب (مر ١٦ : ١٦) .

ب - ومن الرموز إلى المعمودية الختان .

جـ - ومن الرموز للمعمودية فى العهد القديم أيضاً ، عبور البحر الأحمر .

وعن هذا الرمز يقول القديس بولس الرسول : « فإنى لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة . وجميعهم اجتازوا فى البحر . وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر » .

والمعروف أن عبور البحر الأحمر كان خلاصاً للشعب من عبودية فرعون . وهو هنا يرمز إلى الخلاص الذى نناله فى المعمودية من عبودية الخطية والموت . وعنصر الماء واضح فى المثالين . وموسى يمثل هنا الكهنوت . كما كان نوح فى مثال الفلك يمثل الكهنوت فى عهد الآباء البطاركة (رؤساء الآباء)...

د ـ ومن رموز العهد القديم إلى المعمودية أيضاً ما ورد فى (حز ١٦ : ٨ ، ٩) حيث يقول الرب لأورشليم الخاطئة التى ترمز هنا إلى النفس البشرية فى سقوطها : « ودخلت معكِ فى عهد ـ يقول السيد الرب ـ فصرتِ لى . فحممتكِ بالماء ، وغسلت عنكِ دماءكِ ، ومسحتكِ بالزيت » وهذا الماء والغسيل رمز للمعمودية ، والزيت رمز لمسحة الروح القدس وعبارة « صرتِ لى » تعنى إنضمامها بهذا إلى جسد المسيح (عضوية الكنيسة) .

المعمودية إذن فيها خلاص ومغفرة للخطايا ، ليس حسب تعليم العهد الجديد فقط ، إنما حسب رموزها فى العهد القديم أيضاً فى الختان ، والفلك والبحر الأحمر .

والمغفرة التى نناها فى المعمودية يُعبر عنها قانون الإيمان تعبيراً واضحاً جداً فى قوله : « نؤمن بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا » .

* * *

٨ـ فى المعمودية إنضمام لعضوية الكنيسة :

لا شك أن المعمودية كان يرمز إليها الختان فى العهد القديم . وفى ذلك يقول الرسول عن السيد المسيح : « وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح ، مدفونين معه بالمعمودية ، الذى فيها أيضاً أقمتم بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات » (كو ٢ : ١١ ، ١٢) .

المعروف أنه فى الختان يقطع جزء من الجسد ، فيموت ، إشارة فى المعمودية إلى الموت الكامل . وكما ان الختان علامة لا تُمحى هكذا أيضاً المعمودية .

وكما أن فى الختان يسيل دم ، كذلك الحياة الجديدة التى أتت بالمعمودية ، كانت باستحقاق الدم الذى سُفك عنا .

وكما أن المختون كان يعتبر بختانه عضواً فى شعب الله وفى جماعة المؤمنين (تك

١٧ : ٧) هكذا أيضاً المعمد يصير عضواً فى الكنيسة فى شعب الله ، عضواً فى جسد المسيح . وكما أن غير المختون كان يهلك (تك ١٧ : ١٤) هكذا أيضاً كل مَن لا يُولد من الماء والروح (يو ٣ : ٣ ، ٥) لا يدخل ملكوت الله ، لأنه لم يدخل فى المعمودية ولم يُدفن مع المسيح ولم يقم معه .

وكما أن الختان كان لازماً وضرورياً وبأمر إلهى ، هكذا أيضاً المعمودية لازمة للمغفرة ولعضوية جسد المسيح .

وكما أن الإنسان يموت مرة واحدة ويقوم ، ويختن مرة واحد ، هكذا أيضاً المعمودية واحدة لا تتكرر لان المعمد لا يموت مع المسيح أكثر من مرة .

أما علاقة الختان والمعمودية بمغفرة الخطايا ، فيُعبر عنها الرسول فى حديثه عن الختان الروحى ، ختان المسيح ، غير المصنوع بيد الذى فيه خلع جسم الخطايا ، ويرمز للمعمودية ، فيقول بعدها : « وإذ كنتم أمواتاً بالخطايا وغلف جسدكم ، أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا » (كو ٢ : ١١ - ١٣) .

* * *

المعمودية هى من عمل الكهنوت

المعمودية لابد أن يقوم بها كاهن شرعى .

والكتاب المقدس يرينا أن السيد المسيح لم يترك مسألة المعمودية إلى عامة الناس ، إنما تركها لرسله القديسين ، كما ورد فى قوله لتلاميذه قبل صعوده : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) .

ويؤيد هذا أيضاً ما ورد فى (مر ١٦ : ١٥ ، ١٦) .

وواضح أن الرسل هم الذين قاموا بعمل التعميد كما يروى لنا سفر أعمال الرسل فى كل إنتشار الكنيسة الأولى . ثم تركوا العمل لتلاميذهم من الأساقفة . ومنهم للكهنة .

ولهذا كله ، نحن لا نقبل أية معمودية لا يقوم بها كاهن .

ويُشترط فى الكاهن أيضاً أن يكون كاهناً شرعياً ، أى وُضعت عليه يد لها سلطان السيامة ، ولا يكون هذا الكاهن محروماً أو مشلوحاً ، بل له السلطة الكهنوتية التى يمارس بها الأسرار.

ولعلنا بعد أن تكلمنا عن كل مفاعيل المعمودية فينا ، وهذه التى لا يؤمن بها إخوتنا البروتستانت ، ناسبين كل ذلك إلى الإيمان وحده ... وبعد أن تحدثنا أيضاً عن أن المعمودية هى عمل الكهنة ... لعل البعض يسأل :

* * *

لماذا تعيدون معمودية البروتستانتى الذى ينضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية ؟ نقول إننا نعطيه كل هذه الكنوز الروحية التى لم ينلها حينما تعمد فى البروتستانتية نسأله : هل نلت فى المعمودية الخلاص ؟ هل نلت فيها التبرير والتجديد ومغفرة الخطايا ؟ هل اغتسلت فيها من خطاياك ؟ هل لبست فيها المسيح ؟ هل وُلدت فيها ولادة جديدة ؟

فإن كنت لم تنل شيئاً من كل هذه النعم فى المعمودية التى أخذتها فى البروتستانتية إذ لم تكن تؤمن بشيء منها يُنال بالمعمودية ، فنحن نعطيك هذه كلها بالمعمودية التى لها كل هذه المفاعيل .

وسبب آخر هام . وهو أننا لا نعترف بمعمودية إلاَّ التى تكون بواسطة كاهن شرعى كما قلنا . والبروتستانتية لا تؤمن بكهنوت للبشر يمارس الأسرار كما أنها لا تؤمن بالمعمودية كسر.

لذلك لا نقبل هذه المعمودية . ولا نقول إننا نعيدها ، إنما نعمد المنضم إلينا بمعمودية على يد كاهن ، تحمل فاعلية روحية لازمة للخلاص ، وبدونها لا يخلص ... مهما كانت المعمودية الأولى على اسم الثالوث القدوس ، مادام تنقصها ثلاثة أمور هامة ، إذ انها :

أ - ليست على يد كاهن .

ب - ليست سراً .

ج - ليست لها فاعلية روحية .

لـزوم المعـمـودية

نلاحظ منذ بدء المسيحية أن المعمودية كانت لازمة جداً تتبع الإيمان مباشرة ، ولم يستغنى عنها أحد . كانت كذلك فى تعليم الرب ، وكانت كذلك فى الممارسة العملية .

فمن جهة تعليم الرب قال لرسله : «تلمذوا جميع الأمم... وعمدوهم» (مت ٢٨ : ١٩) وقال أيضاً : «مَن آمن واعتمد خلص» (مر ١٦ : ١٦) . ولو كانت المعمودية مجرد علامة ، ما أعطاها الرب كل هذه الأهمية...

وفى الممارسة العملية . لما آمن اليهود فى يوم الخمسين ، دعاهم القديس بطرس إلى المعمودية مباشرة ، فقال لهم : «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لمغفرة الخطايا» (أع ٢ : ٣٨) واعتمد فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس . ولا شك أنها كانت عملية صعبة ومنهكة وتأخذ وقتاً . ولولا أهميتها ما قام بها الآباء الرسل .

ولو كان الإيمان وحده يخلّص ، ماذا كانت الحاجة إلى معمودية كل هذه الآلاف ؟ ما كان أسهل أن يقول لهم الرسول : " مادمتم قد آمنتم أيها الإخوة . اذهبوا على بركة الله فقد نلتم الخلاص ، وهذا يكفى " .

ونفس الوضع نجده فى عماد الخصى الحبشى ، الذى طلب بنفسه هذه المعمودية بعد إيمانه مباشرة . وعمده فيلبس ، فمضى فرحاً (أع ٨ : ٣٦) .

وشاول الطرسوسى اعتمد بعد إيمانه ودعوته لكى يغتسل من خطاياه (أع ٢٢ : ١٦) ، وسجان فيلبى لما آمن ، «اعتمد فى الحال هووالذين له أجمعون» (أع ١٦ : ٢٣) وليديا بائعة الارجوان لما آمنت اعتمدت هى وأهل بيتها (أع ١٦ : ١٥) .

ولما آمن كرنيليوس ، عمده بطرس هو وكل الذين كانوا يسمعون الكلمة «قائلاً أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن» (أع ١٠ : ٤٤ ، ٤٧) .

فلو كان الخلاص بالإيمان فقط ، لماذا اعتمد كل الذين آمنوا ؟

المعمودية بالتغطيس

١ - واضح من الكتاب المقدس أن المعمودية كانت بالتغطيس وليس بالرش، حتى فى أيام يوحنا المعمدان نفسه. فالسيد المسيح نفسه اعتمد بالتغطيس. ولذلك يقول الإنجيل: «فلما اعتمد يسوع صعد من الماء» (مت ٣: ١٦؛ مر ١: ١٠). ولعله من الجميل ههنا أن كنيستنا تسمى عيد معمودية السيد المسيح بعيد الغطاس، ليتأكد هذا المعنى فى أذهاننا.

٢ - نفس تعبير الصعود من الماء، نقرأ عنه أيضاً فى قصة الخصى الحبشى لما عمده فيلبس. يقول الكتاب فنزل كلاهما إلى الماء، فيلبس والخصى «فعمده ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس» (أع ٨: ٣٨، ٣٩). وهذا دليل على أن المعمودية كانت بالتغطيس ولو أنها كانت بالرش لاكتفى فيلبس بأن يرش الماء على الخصى حتى وهو فى المركبة، دون الحاجة إلى أن «ينزلا كلاهما إلى الماء».

٣ - كلمة معمودية Baptisma معناها صبغة. ولا يمكن أن تتم الصبغة إلاّ بالتغطيس.

٤ - المعمودية هى عملية موت مع المسيح ودفن مع المسيح. كما يقول الرسول: «فدفنا معه بالمعمودية للموت» (رو ٦: ٤)، «مدفونين معه بالمعمودية» (كو ٢: ١٣) وعملية الدفن لا يمكن أن تتم إلاّ بالتغطيس. والخروج من جرن المعمودية يشير إلى القيامة مع المسيح بعد الموت معه والدفن معه. أما الرش فلا يمكن أن يعبر عن عملية الموت والقيامة.

٥ - والمعمودية ولادة ثانية. والولادة هى خروج جسم من جسم، وتظهر فى المعمودية واضحة بخروج جسم الإنسان من جرن المعمودية. ولا يعبر الرش مطلقاً عن عملية الولادة.

٦ - المعمودية هى غسل من الخطايا، كما قيل للقديس بولس الرسول (أع ٢٢: ١٦). وكما يقول فى رسالته إلى تيطس: «خلصنا بغسل الميلاد الثانى» (تى ٣: ٥). وعملية الغسل تحتاج إلى غمر بالماء، ويمثله التغطيس ولا يمثله الرش.

٧ ـ وكل مَن ينظر إلى ابنية الكنائس القديمة يجد فيها جرناً للمعمودية . وهذا دليل على أنها كانت تتم بالتغطيس . لأن علمية الرش لا تحتاج إلى جرن .

بقيت النقطة الأخيرة من خلافاتنا في المعمودية عن البروتستانت وهى :

معمودية الاطفال

البروتستانت لا يعمدون الأطفال ، اصراراً على لزوم الإيمان قبل المعمودية واعتماداً على قول الرب : « مَن آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) وأيضاً اعتماداً على أن الطفل لا يدرك ماذا يحدث له في المعمودية . فكيف تتم المعمودية بدون إيمان و بدون إدراك ؟!

هـــذا رأيهـــم .

أما نحن فنصرّ على معمودية الأطفال للأسباب الآتية :

١ ـ حرصاً منا على أبدية هؤلاء الأطفال ، لأن الرب يقول : « إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) فكيف يمكن أن نمنع عنهم العماد فنعرضهم لهذا الحكم الإلهى الذى لم يحدث أن الرب استثنى منه الأطفال حينما قال هذا...

* * *

٢ ـ بالمعمودية نُعطى الأطفال فرصة لممارسة الحياة داخل الكنيسة والتمتع بكل أسرارها الإلهية و بكل تأثيرها ، وكل عمل النعمة فيها وفاعليتها في حياتهم . و بهذا نعدهم إعداداً عملياً لحياة الإيمان . وإن تركناهم خارجاً ، نكون قد حرمناهم من وسائط النعمة والإيمان .

* * *

٣ ـ أما قول الرب : « مَن آمن واعتمد خلص » ، فالمقصود به هو الكبار الذين في سن يسمح بادراك معانى الإيمان . ولهذا نحن لا يمكن أن نعمد الكبار إلاّ إذا آمنوا عملاً بقول الرب (مر ١٦ : ١٦) . أما من جهة الأطفال فنطبق عليهم قول الرب

أيضاً : « دعوا الأولاد يأتون إلىَّ ولا تمنعوهم ، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » (مت ١٩ : ١٤) .

* * *

٤ - ومن جهة الإيمان ، ليس عند الأطفال ما يمنع الإيمان مطلقاً ، لأنهم لم يدخلوا فى مرحلة الشك والفحص والتفكير التى عند الكبار . وهم فى إيمان يصدق كل شىء و يقبله فلا عندهم رفض الإيمان ، ولا مقاومة الإيمان ، ولا سلبيات تمنع ملكوت الله .

وعمادهم يتفق مع نظرية (الخلاص المجانى) التى يؤمن بها البروتستانت و يعلنونها بكل قوتهم .

* * *

٥ - ولو دققنا تماماً على شرط الإيمان ، لكان من الممكن أن تمنع من المعمودية أيضاً كل الكبار الذين ليس لهم النضوج العقلى أو الفكرى الكافى لإدراك حقائق الإيمان وعمقها مثل كثير من الريفيين ومن العمال ومن الأميين وأشباه المتعلمين ، والذين ليس لهم قدر من الذكاء يدخل فى عمق الحقائق اللاهوتية ... ما نصيب كل أولئك من الإيمان ... ؟ فهل تمنعهم كما تمنع الأطفال أيضاً ... ؟!

* * *

٦ - يقول البعض : وماذا يحدث إن كبر الطفل ورفض الإيمان ؟

يكون مثل المرتد ... النعمة التى أخذها فى المعمودية قد يرفضها بحرية إرادته . نحن نكون قد أدينا واجبنا من نحوه . ونتركه مثل أى إنسان بدأ بالروح وكمل بالجسد (غل ٣ : ٣) ولكن الاحتمال الأكبر هو أن الطفل الذى نعمده فى صغره ، ويحيا فى الكنيسة ، و يذوق كل وسائط النعمة فيها ، لا يكون عرضة للإنحراف وترك الإيمان مثل الذى نتركه بلا عماد حتى كبره ...

* * *

٧ - إن الذين ينكرون معمودية الأطفال ، إنما ينكرون لزوم المعمودية للخلاص (مر ١٦ : ١٦) . لأنهم لو آمنوا بلزوم المعمودية ، لكان من الخطورة أن يحرموا الطفل من الخلاص .

وماداموا يشترطون الإيمان للخلاص ، و يرون الأطفال بلا إيمان . فما مصير

الأطفال فى نظرهم ، وهم بلا معمودية ، وبلا إيمان ؟ هل يخلصون بدونها ؟... ويبقى السؤال بلا جواب ...

★ ★ ★

٨ ـ ونحن نعمد الأطفال ، لأن فى الكتاب ما يشير ضمناً إلى هذا ، فيما ذكره الكتاب من عماد أسرة بأكملها ، أو شخص وكل بيته ، وليس من المعقول أن كل هؤلاء الذين آمنوا ، لم تكن فى عائلاتهم أطفال . والأمثلة على هذا كثيرة فى الكتاب ، نذكر من بينها :

أ ـ عماد سجان فيلبى . قال له القديسان بولس وسيلا : «آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك» (أع ١٦ : ٣١) . والمقصود هو ان إيمانه سيكون الخطوة الأولى التى تقود أهل بيته إلى الخلاص ولذلك قيل بعدها : «وكلماه وجميع مَن فى بيته بكلمة الرب» ثم يقول الكتاب : واعتمد فى الحال هو والذين له اجمعون وتهلل مع جميع بيته» (أع ١٦ : ٣٢- ٣٤) . ولم يستثن الكتاب الأطفال من كل أهل بيت سجان فيلبى ، بل قال عن عماده : «هو والذين له **أجمعون**» بما فيهم طبعاً من أطفال ...

ب ـ فى قصة عماد ليديا بائعة الأرجوان قيل إنها «اعتمدت هى وأهل بيتها» (أع ١٦ : ١٥) .

جـ ـ قال بولس الرسول : «وعمدت أيضاً بيت اسطفانوس» (١ كو ١ : ١٦) .

فهل كل هذه البيوت لم يكن فيها أطفال ...

د ـ الذين اعتمدوا فى يوم الخمسين ، لم يذكر الكتاب انه لم يكن بينهم أطفال .

★ ★ ★

٩ ـ وممارسة معمودية الأطفال قديمة فى التاريخ . نذكر من بينها خلاف كان بين القديس أوغسطينوس والقديس جيروم حول أصل النفس وهل هى مولودة أم مخلوقة وكان القديس أوغسطينوس يقول إنها تولد مع الإنسان والقديس جيروم يقول إنها مخلوقة . فقال القديس أوغسطينوس : [إن كانت مخلوقة فهى لم ترث خطية آدم . وإذن فلماذا نعمد الأطفال ؟] . ولم يجد جيروم إجابة على هذا السؤال .

★ ★ ★

١٠ ـ والكتاب المقدس لا توجد فيه أية واحدة تنص على عدم معمودية الأطفال .

* * *

١١ ـ أما من جهة الإيمان ، فنحن نعمد الطفل على إيمان والديه . وهذا الأمر ـ فى جوهره ـ له أمثلة كثيرة جداً فى الكتاب المقدس .

أ ـ كان الختان يرمز إلى المعمودية كما سبق أن ذكرنا ، وبه كان ينضم المختون إلى عضوية شعب الله . حسب العهد الذى أبرمه الله مع أبينا إبراهيم (تك ١٧ : ١١) والمعروف أن الختان كان يتم فى اليوم الثامن حسب أمر الرب (تك ١٧ : ١٢) .

فالطفل فى اليوم الثامن من عمره ، ماذا كان يدرى عن العهد الذى بين الله وأبينا إبراهيم؟ وماذا كان يدرى عن عضوية شعب الله؟ لا شيء بلا شك . لكنه كان يختتن بإيمان والديه بهذا العهد ، ويصير عضواً فى شعب الله ومستحقاً للوعود التى منحها الرب لأبينا إبراهيم ، كل ذلك بإيمان والديه .

ب ـ كان عبور البحر يرمز إلى المعمودية ، أو كان معمودية فى حد ذاته كما شرح القديس بولس الرسول (١ كو ١٠ : ٢) . وكان يمثل الخلاص من عبودية فرعون ، رمزاً للخلاص من عبودية الخطية والشيطان والموت .

وقد عبر البحر أشخاص كبار يعرفون وعد الله لموسى النبى ، ويعرفون ماذا كانت عبوديتهم لفرعون ، وما معنى خلاصهم منها بيد الله الحصينة . وبعبورهم البحر (أى بالعماد) خلصوا . ولكن ماذا عن الأطفال الذين حملتهم أمهاتهم أو آباؤهم عابرين البحر بهم . لقد نالوا الخلاص بلا شك من العبودية ، وتعمدوا ، ولكن على إيمان الوالدين . لأن أولئك الأطفال ما كانوا يدرون عن هذه الأمور شيئاً .

جـ ـ مثال ثالث قوى جداً وهو خلاص الأطفال من سيف الملاك المهلك بدم خروف الفصح ، حسب قول الرب لموسى عن ذبح الخروف ورش الدم على عتبات البيوت وقوائمها «فأرى الدم وأعبر عنكم» (خر ١٢ : ١٣) .

وكان دم خروف الفصح يرمز إلى دم السيد المسيح الذى به نلنا الخلاص ، وكما قال القديس بولس الرسول : «لأن فصحنا المسيح ذُبح لأجلنا» (١ كو ٥ : ٧) .

والسؤال الآن هو هذا : الأطفال الذين خلصوا بدم خروف الفصح : ماذا كان

إيمانهم ؟ ما الذى يعرفونه عن العهد بين الله وموسى حول الفصح والنجاة بدمه من الهلاك ؟ لا شيء بلا شك ولكنهم خلصوا بايمان آبائهم ، الآباء الذين آمنوا بالدم وفاعليته وأهمية دم الفصح للنجاة من الهلاك .

ولكن هؤلاء الأطفال الذين خلصوا بالختان ، و بدم خروف الفصح ، و بعبور البحر الأحمر فهموا معانى هذه الأمور فيما بعد عندما كبروا . ولكنهم تقبلوا هذا الخلاص مجاناً فى طفولتهم ، بإيمان الوالدين بعهود الله واتفاقاته مع البشر . ولما كبروا دخلوا فى هذا الإيمان عملياً ...

بعد هذا نجيب على الأسئلة التى يقدمونها حول المعمودية :

★ ★ ★

أسئلة حول المعمودية

١ ـ السؤال الأول :

إن كانت المعمودية تجديداً ، فلماذا نخطىء بعد المعمودية ؟

المعمودية تجديد حسب تعليم الكتاب (رو ٦ : ٤) ولكنها ليست عصمة ، نأخذ فى المعمودية ولادة جديدة ، وحياة جديدة ، ونعماً جديدة . أو نأخذ طبيعة جديدة ، كما قال الرسول : « بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) هذه الطبيعة لها قوة وقدرة على الحياة الروحية .

ولكن لا عصمة لنا طالما نحن فى الجسد . هنا نحن فى اختبار . ومازلنا فى حريتنا ، نعمل الخير أو الشر . لأن نعمة التجديد التى أخذناها فى المعمودية لا تلغى نعمة الحرية التى لنا ، والتى نحن بها على صورة الله ومثاله ولذلك فالصديق يسقط سبع مرات و يقوم . أما العصمة أو إكليل البر ، فنناله فى الحياة الأخرى . وفى ذلك يقول معلمنا بولس الرسول وهو ينسكب سكيباً و وقت إنحلاله قد حضر « ... وأخيراً وُضِعَ لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الديان العادل » (٢ تى ٤ : ٨) .

السؤال الثانى :

هل تسرى مفاعيل المعمودية ؟ إذا كان الكاهن الذى يجريها سيء السيرة ؟

إن النعم التى نأخذها فى المعمودية هى من الله ، وليست من الكاهن الذى هو مجرد خادم لله مانحها . تتوقف على صدق مواعيد الله ومواهبه ، ولا تتوقف على سيرة الكاهن .

إن الكاهن مثل ساعى البريد ، يحمل لك خطاباً مفرحاً . وسواء كان هذا الساعى جميل الخلقة أو دميمها ، فالخطاب المفرح هو هو لا يتغير .

أو هو كالزارع الذى يلقى البذار فى الأرض فتثمر ، سواء كان هذا الزارع باراً أو مخطئاً . المهم فى البذرة وقوة الحياة التى فيها ، وليس فى يد الزارع التى تلقيها .

وأنت قد تشرب الماء فى كوب من ذهب أو كوب من نحاس . والماء هو هو بنفس طبيعته لم يتغير بنوع الكأس الذى يقدم لك الماء فيه .

وهنا نحن نتكلم عن المعمودية وفاعليتها . ولا يجوز أن نخرج العقيدة من ناحيتها الموضوعية إلى نواح شخصية تتعرض لإدانة الآخرين ، دون النظر إلى ما منحه الرب للبشر فى المعمودية حسب كلمته الصادقة فى الإنجيل .

* * *

السؤال الثالث :

كيف خلص اللص دون معمودية ؟

وفى إجابتنا عن هذا السؤال نقول إن اللص قد نال معمودية هى أفضل معمودية . وكلنا نحاول أن نعتمد على مثالها . لأنه ما هى المعمودية سوى موت مع المسيح كما شرح معلمنا بولس (رو ٦) واللص اليمين قد مات مع المسيح فعلاً ، وصار موته بهذا الوضع معمودية ومثال ذلك معمودية الدم التى نقولها عن الشهداء الذين آمنوا بالمسيح ، فقتلوهم فى عصور الإضطهاد قبل أن ينالوا نعمة المعمودية بالماء . فصار موتهم هذا معمودية . ماتوا مع المسيح كاللص .

وقد شرحنا هذا الموضوع فى كتاب الخلاص .

* * *

السؤال الرابع :

إن كانت المعمودية لازمة هكذا ، فلماذا قال الرسولان بولس وسيلا لسجان فيلبى : **«آمن بالرب يسوع فتخلص ..»** (أع ١٦ : ٣١) ولم يقولا له آمن واعتمد . وهذا دليل على كفاية الإيمان . أما الجواب هو أن الرسولين كان يكلمان إنساناً غير مؤمن ، مهما فعل لا يمكن أن يخلص بدون إيمان . لذلك كان عليهما أن يوجهاه إلى هذا الإيمان أولاً لكى

يخلص . فإن قبل الإيمان ، يشرحان له باقى الأمور اللازمة .

ولذلك فإنه بعد قول الرسول هذا حدث أمران هما :

أ ـ « كلماه وجميع أهل بيته بكلمة الرب » (أع ١٦ : ٣٢) .

ب ـ « اعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون » (أع ١٦ : ٣٣) .

وهكذا لا يجوز أن نضع أمامنا آية واحدة ، وننسى باقى الآيات المتعلقة بالموضوع فإلى جوار إيمان سجان فيلبى ، نضع عماد سجان فيلبى . وإلى جوار قول الرسولين : «آمن .. فتخلص» نضع أمامنا أيضاً قول الرب نفسه : « مَن آمن واعتمد ، خلص » (مر ١٦ : ١٦) ونضع باقى الآيات التى تتعلق عن الخلاص بالمعمودية مثل (١ بط ٣ : ٢١ ؛ تى ٣ : ٥) .

(*) انظر تفسيراً مفصلاً لهذه النقطة فى كتابنا « الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى » (الطبعة الرابعة من ص ٢٥ ـ ص ٣٢) .

* * *

السؤال الخامس :

إن كانت المعمودية ضرورية ، فهل كل أنبياء العهد القديم اعتمدوا ؟

والإجابة هى : لو كانت وصية المعمودية موجودة فى أيامهم لكان يلزمهم العماد . ولكن هذه الوصية وضعت فى المسيحية فلماذا ؟ لأن المعمودية هى موت مع المسيح . والمسيح لم يكن قد مات فى العهد القديم .

ولكن أنبياء العهد القديم مارسوا من رموز المعمودية ما أمكنهم ممارسته فى أيامهم ، كالختان وعبور البحر . ومارسوا الاحتفال بخروف الفصح الذى يرمز إلى دم المسيح .

ولا يجوز أن نطالب أشخاصاً بشريعة لم تكن موجودة فى أيامهم .

* * *

السؤال السادس :

هل الخلاص هو بالكلمة وليس بالماء ؟

وهل قول الرسول عن الكنيسة : « مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة » (أف ٥ : ٢٦) تعنى أن هذا الغسل كان بالكلمة ؟ أى الخلاص بالكلمة .

وماذا عن باقى الآيات التى تدل على لزوم الكلمة للخلاص مثل « مولودين ثانية لا

من زرع يفنى ، بل مما لا يفنى ، بكلمة الله الحية الباقية إلى الابد » (١ بط ١ : ٢٣) وأيضاً « شاء فولدنا بكلمة الحق » (يع ١ : ١٨) ولم يقل ولدنا بالمعمودية ـــ أو خلصنا بالمعمودية !!

ما أهمية الماء للخلاص ؟

مادام الرب قد قال « من آمن واعتمد خلص » إذن الخلاص يكون هكذا ...

ولكن عبارة من آمن ، لابد أن يسبقها شـيء آخـرهو التعليم أو الكرازة لأن الرسول يقول « كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به ؟ وكيف يسمعون بلا كارز ؟ » (رو ١٠ : ١٤) من هنا جاءت أهمية الكلمة ...

الكلمة أولاً ، نتيجة لها يحدث الإيمان . ونتيجة للإيمان تتم المعمودية ، ونتيجة للعمودية الخلاص والولادة الجديدة .

ومع أن الخلاص والميلاد الثانى كلاهما بالمعمودية ، إلا أنه لابد من الكلمة أولاً ، لأنها هى التى تقود إلى الإيمان ، وبالإيمان المعمودية . لذلك قال الرسول « ولدنا بكلمة الحق » ، « مولودين بكلمة الله » ... على اعتبار أن الكلمة هى الأصل الذى قاد إلى كل هذا ...

أما قول الرسول عن الكنيسة « مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة » (أف ٥ : ٢٦) . فمعناه أن هذا التطهير تم بالمعمودية (غسل الماء)... بالكلمة أى بالتبشير والكرازة وخدمة الكلمة التى من نتيجتها كان الإيمان ثم المعمودية .

نلاحظ هنا قوله « بغسل الماء بالكلمة » ولم يقل بغسل الماء الذى هو الكلمة . ولو كان غسل الماء يعنى الكلمة ، ما كان هناك داع لهذا التكرار . إنما غسل الماء بالكلمة معناه غسل الماء الذى تم نتيجة لعمل الكلمة ، فلولا الكلمة ومفعولها ما أقبل الناس إلى غسل الماء أى المعمودية .

أما من جهة عبارة « مولودين بكلمة الله » (١ بط ١ : ٢٣) وعبارة « شاء فولدنا بكلمة الحق » (يع ١ : ١٨) ، فنلاحظ فيهما أنه لم يذكر الإيمان . فهل الكلمة وحدها كافية للميلاد الثانى بدون إيمان ؟! إن هذا مستحيل . ولكنه لم يذكر الإيمان هنا لأنه مفهوم ضمناً .

الأشياء المفهومة ضمناً ، لا داعى لتكرارها فى كل مناسبة . لا نستطيع فى كل مناسبة أن نكرر عبارات : الكلمة ـ الإيمان ـ المعمودية ـ الميلاد الثانى ...

إن الكرازة لها أهميتها . ولا ينكر أحد أهمية خدمة الكلمة . ولكن لا نستطيع مطلقاً أن نقول إنه يمكن لأناس أن يكونوا « مولودين بكلمة الحق » سواء آمنوا أم لم يؤمنوا . هكذا أيضاً فى المعمودية .

أما عبارة « غسل الماء بالكلمة ، فتعنى الأمرين معاً : الكلمة والمعمودية ونلاحظ فيهما أيضاً أنه لم يذكر (الإيمان الذى هو مفهوم ضمناً) .

البروتستانت يركزون باستمرار على الإيمان . فهل عدم ذكر عبارة الإيمان فى (أف ٥ : ٢٦ ؛ يع ١ : ١٨ ؛ ١ بط ١ : ٢٣) يعنى عدم أهمية الإيمان ولزومه ؟ طبعاً لا . ففى بعض الأحيان عدم ذكر شىء لا يعنى بالضرورة عدم لزومه ، إنما قد يعنى انه مفهوم ضمناً ، هكذا فى المعمودية .

* * *

السؤال السابع :

إذن ما هو مركز الماء فى الخلاص والميلاد الثانى ؟

أ ـ إن كان الماء لم يذكر فى عبارة « ولدنا بكلمة الحق » وعبارة « مولودين بكلمة الله » إلا أنه قد ذكر صراحة فى قول الرب : « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) هنا ولادة صريحة من الماء .

والمقصود بالماء أن يكون ماءاً حقيقياً وليس رمزاً ...

ب ـ وهذا واضح فى قبول إيمان كرنيليوس واصحابه الأمميين وضمهم إلى عضوية الكنيسة .

هنا أشخاص أبرار . كان إيمانهم بدعوة من الله ، وظهور ملاك لكرنيليوس ورؤيا لبطرس ، وأمر إلهى . وقد بشرهم بطرس بالكلمة ، وحل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة (أع ١٠ : ٤٤) وتكلموا بألسنة .

أكان كل هذا يكفى لميلادهم الثانى ؟... أكان يمكن لبطرس أن يقول لهم : مبارك لكم جميعاً هذا الميلاد الجديد ؟

كلا بل ان القديس بطرس قال بعد كل هذا : « أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمدوا باسم الرب » (أع ١٠ : ٤٧ ، ٤٨) .

و يعلق كاتب سفر أعمال الرسل على هذا بقوله مباشرة : « ... إن الأمم قبلوا كلمة الله » (أع ١١ : ١) .

هنا إذن مكان الماء إلى جوار الكلمة . وهنا الماء لا يعنى الكلمة ، كما ظن البعض فى (أف ٥ : ٢٦) ..

جـ ـ وهناك مثال آخر واضح للماء ، فى معمودية الخصى الحبشى :

لما آمن الخصى . يقول الكتاب : « وفيما هما سائران فى الطريق أقبلا على ماء . فقال الخصى : هوذا ماء . ماذا يمنع أن اعتمد . فقال فيلبس : إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز . فأجاب وقال : أنا أومن أن يسوع المسيح هو ابن الله ... فنزلا كلاهما إلى الماء ، فيلبس والخصى ، فعمده » (أع ٨ : ٣٦ـ ٣٨) .

هنا معمودية ماء ، تماماً مثل معمودية كرنيليوس والذين معه ، معمودية ماء حقيقى ، كانت لازمة بعد الكلمة مباشرة ، ولم يكن الماء فيها هو الكلمة ... فإن كان الخصى قد ولد بالكلمة ، وغسل بالكلمة ، ماذا كانت الحاجة إلى الماء ...؟!

* * *

وفى هذا المجال أود أن أتحدث عن موضوع هام هو :

اهميـــة المـــاء ورمـــوزه

وذلك لنفهم لماذا اختير الماء للغسل والولادة الجديدة فى سر المعمودية المقدس ... منذ البداية ، فى قصة الخليقة ، والماء له علاقة بالحياة .

يقول الكتاب : « وروح الله يرف على وجه المياه » (تك ١ : ٢) و يذكر أيضاً أن الله قال : « لتفض المياه زحافات ذات أنفس حية ، وليطر طير... » (تك ١ : ٢٠) . وهكذا خرجت الحياة من الماء . ونرى ر بطاً ما بين الماء والحياة وروح الله .

ونقرأ أيضاً ان الله يشبه ذاته بالماء . فيقول فى تبكيته للشعب : « تركونى أنا ينبوع المياه الحى ، لينقروا لأنفسهم آباراً مشققة ... » (إر ٢ : ١٣) . وكما ذكر هذا فى العهد القديم ذكر نفس المعنى فى العهد الجديد فى قول السيد المسيح له المجد : « مَن آمن بى ـ كما قال الكتاب ـ تجرى من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (يو ٧ : ٣٨ ، ٣٩) .

و يشبه هذا قول السيد المسيح عن نفسه أنه معطى الماء الحى فى حديثه مع المرأة السامرية عن الماء الحى ، إذ يقول : « ... بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » (يو ٤ : ١٠ـ ١٤) .

الماء إذن يرمز إلى الحياة، وأحياناً إلى الروح القدس نفسه. وما أجمل قول الوحى الإلهى فى المزمور الأول عن الرجل البار إنه: «يكون كشجرة مغروسة على مجارى المياه، تعطى ثمرها فى حينه» (مز ١ : ٣) أى ثمر الروح. و يعوزنا الوقت أن نربط بين الماء والحياة والروح القدس فى الكتاب المقدس. الذى يستمر من أول سفر التكوين (تك ١ : ٣) إلى آخر سفر الرؤيا «أنا أعطى العطشان ينبوع ماء الحياة مجاناً» (رؤ ٢١ : ٦) «وأرانى نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبللور، خارجاً من عرش الله والخروف» (رؤ ٢٢ : ١) «مَن يعطش فليأت، ومَن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً» (رؤ ٢٢ : ١٧).

وفى عبور البحر الأحمر كان الماء يرمز للحياة والموت معاً. موت الإنسان العبد، وحياة الإنسان الحر، الخارج من الماء.

وفى لقان خميس العهد، كان الماء يرمز إلى التطهير. ولذلك قال الرب بعد غسل أرجل تلاميذه قال لهم: «أنتم طاهرون...» (يو ١٣ : ١٠). و يقول المرتل فى المزمور: «أغسل يدى بالنقاوة».

لعل هذا هو غسل الميلاد بالكلمة، التطهير الذى نناله فى حميم الميلاد الجديد. و ينطبق عليه فى المعمودية قول الرسول للعبرانيين: «مغتسلة أجسادنا بماء نقى» (عب ١٠ : ٢٢).

ولا أريد أن أترك الحديث عن الماء، دون أن أذكر معجزة عظيمة حدثت وقت صلب المسيح خاصة بالماء والدم.

* * *

الماء والدم

لما طعن الجندى جنب المسيح وهو على الصليب، خرج من جنبه «دم وماء» (يو ١٩ : ٢٤). فما الحكمة اللاهوتية من هذا؟

خرج من جنبه الدم الذى يعطى معنى الفداء. ولكن كيف ننال نحن هذا الفداء؟ نناله بالماء (بالمعمودية). لذلك حسن أن اجتمع على الصليب الدم والماء، ليعطى الوسيلة للفداء. إن دم المسيح الذى يطهرنا من الخطية نناله بالماء. ما أجمل - فى سر الافخارستيا - أن نمزج الدم بالماء.

ولعل موضوع الدم والماء يظهر واضحاً فى قول القديس يوحنا الحبيب الذى شهد هذا

الحادث (خروج الدم والماء) وهو إلى جوار الصليب :

« الذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة : الروح والماء والدم . والثلاثة هم واحد » (١ يو ٥ : ٨) . إن الفداء الذى نناله توضحه هذه الآية .

الفداء قدمه لنا الدم (دم المسيح) . ونحن ننال استحقاقات هذا الدم بالميلاد من الماء والروح .

إذن فى المعمودية تجتمع هذه الثلاثة فى الشخص الواحد المعمد : أعنى الدم والروح والماء

* * *

السؤال الثامن :

ولعل أحداً يسأل : **هل الماء له كل هذه الفاعلية ؟**

أ ـ إن هذا السؤال يذكرنى بالاحتجاج الذى احتج به نعمان السريانى حينما طلب إليه اليشع أن يغتسل فى الأردن لكى يطهر . فاستكثر هذا أن يكون الأمر مجرد غسل فى الماء ، وعندهم أنهار فى دمشق أفضل من أنهار إسرائيل (٢ مل ٥ : ١٠ ـ ١٢) ولكنه لما أطاع واغتسل ، نال الطهارة بهذا الإيمان . وملاحظة بسيطة هنا . ان النبى أمره بالاغتسال فى الأردن الذى صار فيما بعد نهر المعمودية أيام يوحنا المعمدان (مت ٣ : ٦) فهل نستكثر على الماء مفعوله ، كما حدث مع نعمان السريانى ؟!

إن الله يعطى النعمة بالطريقة التى يريدها . وهنا لم تكن النعمة فى مجرد ماء الأردن ، إنما السر فى القوة التى وضعها الله فى هذا الماء للتطهير... ونفس الأمر نقوله إلى حد ما عن المعمودية كما سنشرح .

* * *

ب ـ مثال آخر : حينما شفى الرب الرجل المولود أعمى . وضع طيناً فى عينيه وقال له : « اذهب اغتسل فى بركة سلوام . فمضى واغتسل وأتى بصيراً » (يو ٩ : ٦ ، ٧) كان يمكن بمجرد الإيمان أن ينال هذا الأعمى بصراً . ولكن الله أراد أن يمنحه النور ـ والمعمودية استنارة ـ عن طريق الماء . فلتكن مشيئة الرب فيما يريد . إننا لا نرسم له خططاً ينفذها تبارك اسمه ...

* * *

جـ ـ ومع كل ذلك نقول فى الإجابة على هذا السؤال إن ماء المعمودية ليس مجرد ماء بسيط

عادى . والإنسان المعمد لا يُولد من الماء فقط ، وإنما من الماء والروح .

الروح القدس يقدس هذا الماء لكى تصبح له طبيعة خاصة يمكن بها لمَن يغطس فيه أن يُولد من الماء والروح . و بهذا يأخذ استحقاقات دم المسيح فى الفداء ، حينما ـ فى هذا الماء ـ يدفن المعمد مع المسيح ، و يشترك مع المسيح فى موته ، لكى يستحق أن يشترك معه فى قيامته .

ولذلك فنحن أثناء تقديس ماء المعمودية ، نسكب عليه من زيت الميرون المقدس الخاص بالمسحة المقدسة ، مسحة الروح القدس ، لكى يتقدس الماء بالروح . ومَن يُولد منه يولد من الماء والروح .

وفى تقديس هذا الماء يصلى الكاهن صلوات معينة خاصة بتقديس الماء وحلول الروح لتقديسه . وأيضاً يتلو تلاوات من كلمة الله . وهكذا فإن ماء المعمودية الذى نغتسل به يكون قد تقدس بالكلمة .

* * *

السؤال التاسع :

أليس من الأفضل أن نقول إن المعمودية قيامة مع المسيح وليس موتاً، لأن الموت لا يفيدنا بل يضرنا ، وإنما القيامة هى التى تفيد ؟

المعمودية هى موت مع المسيح وقيامة معه ، كما شرح الرسول فى رسالته إلى أهل رومية : « إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضاً بقيامته ... إن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رو ٦ : ٥ ، ٨) .

وفى هذا الأمر لا يجوز لإنسان أن يعتمد على فكره ، ويخرج عن تعليم الكتاب ، قائلاً إن الموت لا يفيدنا بل القيامة . وهوذا الكتاب يقول عن المعمودية : « أم تجهلون اننا كل مَن اعتمد ليسوع المسيح ، اعتمدنا لموته ، فدفنا معه بالمعمودية للموت » (رو ٦ : ٣ ، ٤) . و يكرر هذا المعنى فى رسالته إلى كولوسى فيقول : « مدفونين معه فى المعمودية ، التى فيها أيضاً أقمتم معه » (كو ٢ : ١٢) . وفى هذا النص نرى المعمودية موتاً وقيامة معاً .. حقاً إن الذين يحتقرون الموت مع المسيح ، لا ينالون بركة قيامته .

* * *

وهنا نسأل : لماذا الموت فى المعمودية ؟ وما أهميته ؟

أ ـ ليكون لنا شركة مع السيد المسيح . فالرسول لم يقل فقط أنه يدخل فى قوة

قيامته وإنما قال : «لأعرفه وقوة قيامته ، وشركة آلامه ، متشبهاً بموته» (فى ٣ : ١٠) . وقال فى هذا أيضاً : «مع المسيح صُلبت» (غل ٢ : ٢٠) . وعبارة الموت مع المسيح تتكرر كثيرا فى (رو ٦) .

ب ـ لابد للإنسان فى المعمودية أن تموت طبيعته الفاسدة ، لكى يأخذ طبيعة أخرى جديدة . وهذا ما يعبر عنه الرسول بصلب الإنسان العتيق فى المعمودية فيقول فى نفس الفصل من الرسالة إلى رومية : «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية ، كى لا تعود نستعبد أيضاً للخطية . لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية» (رو ٦ : ٦ ، ٧) هنا فائدة الموت . وليس الموت ضرراً كما يظن البعض فإن طبيعتنا الفاسدة من الخير لها ولنا أن تموت ، لكى نقوم بطبيعة أخرى على صورة الله . أما الطبيعة الفاسدة فليست لها قوة القيامة مع المسيح . فمن الضرورة أن تموت لتحيا .

جـ ـ لإننا فى شركة الموت ، نعترف ضمناً اننا كنا تحت حكم الموت «أمواتاً بالخطية» وان المسيح قد مات عنا ودفن ، ولذلك فنحن نعتمد لموته ، مادامت أجرة خطيتنا هى الموت ، مدفونين معه بالمعمودية .

وبذلك نستحق بركة القيامة مع المسيح .

* * *

د ـ بديهى أن القيامة معناها القيامة من الموت . فالذى يقوم مع المسيح فى المعمودية . هو بالضرورة الذى مات ليقوم . لأنه إن لم يمت فكيف يقوم إذن ؟

* * *

السؤال العاشر :

كيف يعتمد إنسان ليخلص من الخطية الأصلية (الجدية) إن كان قد وُلد من والدين قد تعمدا وتخلصا من تلك الخطية ؟

إن حكم الموت لم نرثه من الوالدين المباشرين ، حتى نخلص منه بمعموديتهما . إنما حكم الموت قد ورثناه من آدم وحواء مباشرة ، من الإنسان الأول . وذلك لأننا كنا فى صُلب آدم حينما فسدت طبيعته وحُكم عليه بالموت ، فأصبح كل ما فى صلبه مائتاً ، ونحن خرجنا من صلب آدم تحت حكم الموت .

ولذلك أصبح حكم الموت هو على كل ذرية آدم ، وليس فقط على قايين وهابيل وشيث .

وفى ذلك يقول الكتاب : « كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم ، و بالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » (رو ٥ : ١٢) و يقول أيضاً : « لأنه كما فى آدم يموت الجميع ، هكذا أيضاً فى المسيح سيحيا الجميع » (١ كو ١٥ : ٢٢) .

إذن الموت كان حكماً على كل البشرية ، لأنها ذرية آدم . يُولد كل إنسان محكوماً عليه بالموت ، إذ كان فى صلب آدم حينما حُكم عليه بالموت .

والخلاص من الموت هو خلاص شخصى ، لكل فرد على حدة ، أياً كان والداه ، قد نالا الخلاص أم لم ينالاه . وهذا الخلاص يحتاج إلى التوبة والإيمان بدم المسيح والمعمودية ، و باقى وسائط النعمة . ومع ذلك لا يوجد والدان بدون خطية ...

وصدق المرتل فى المزمور حينما قال : « لأنى هأنذا بالإثم وُلدت ، وفى الخطية حبلت بى أمى » (مز ٥٠) .

إننا فى الفساد نولد إلى أن نعتق من عبودية الفساد (رو ٨ : ٢١) . ومتى ستعتق من هذا الفساد ؟ يقول الرسول عن جسدنا « يُزرع فى فساد ، و يُقام فى عدم فساد .. لان هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد ، وهذا المائت يلبس عدم موت » (١ كو ١٥ : ٤٢ ، ٥٣) ومتى ؟ حينما يبوق فيقام الأموات .

هل المعمودية تعاد ؟



هل المعمودية تعاد ؟! ألسنا نقول فى قانون الإيمان « نؤمن بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا » ؟ ألم يقل الكتاب المقدس « معمودية واحدة » (أف ٤ : ٥) ؟



نعم ، قد قال الكتاب « معمودية واحدة » . ولكن ليتنا نقرأ الآية كاملة ، حيث تقول « إيمان واحد ، معمودية واحدة » (أف ٤ : ٥) .

فحيثما يوجد الإيمان الواحد ، توجد معه المعمودية الواحدة .

ولذلك نحن لا يمكن مطلقاً أن نعيد معمودية إنسان تعمد فى كنيسة لها نفس إيماننا الأرثوذكسى .

كذلك المعمودية ، ينبغى أن يقوم بها كاهن شرعى له كل سلطانه الكهنوتى الذى يسمح له باجراء سر المعمودية المقدس ، مؤمناً بكل فاعلية هذا السرّ...

فمثلاً الكنائس التى لا تؤمن بسر الكهنوت ، وليس لها كهنة ، كما لا تؤمن بأن المعمودية سرّ ، ولا تؤمن بفاعلية المعمودية كما نؤمن ، فكيف نقبل معموديتها .

ونفس الوضع مع الكنائس التى تؤمن بسر المعمودية وفاعليته ، و بسر الكهنوت . ولكنها مغلقة علينا بحروم الآباء .

ينبغى أن تزال الحروم أولاً ، ثم نقبل أسرارها الكنسية .

الفصل الثالث

التقليد



اقدمية التقليد

التقليد هو كل تعليم وصل إلينا عن طريق التسليم الرسولى والآبائى ، غير الكلام الذى ترك لنا كتابة فى الكتاب المقدس ، فى موضوعات ربما لم تذكر فى الكتاب ، ولكنها لا تتعارض معه فى شيء ما .

والبروتستانت لا يؤمنون بالتقليد . ولا يلتزمون إلا بالكتاب المقدس وبهذا الوضع يتركون كل التراث الذى تركته الأجيال السابقة للكنيسة : كل ما تركه الآباء الرسل ، وآباء الكنيسة الأول ، والمجامع المقدسة ، والقوانين والنظم الكنسية ، وما فى الكنيسة من طقوس ومن نظم ، وما أخذناه من تعليم شفاهى عبر هذه الأجيال الطويلة كلها . وسنبحث هنا موضوع التقليد .

* * *

والتقليد هو أقدم من الكتاب ، يرجع إلى أيام أبينا آدم :

لعل أقدم ما وصل إلينا من الشريعة المكتوبة ، كان على يد موسى النبى ، الذى عاش فى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد . ولكن التقليد أقدم من هذا بكثير... آلاف السنين مرت على البشرية بدون شريعة مكتوبة . فمن الذى كان يقود تفكيرها : الضمير من جهة (ويسمى الشريعة الأدبية) . والتقليد من جهة أخرى وهو تسليم جيل لجيل آخر .

* * *

وسنحاول أن نضرب بعض الأمثلة السابقة للشريعة المكتوبة ...

١ - ورد فى سفر التكوين أن هابيل الصديق قدم قرباناً لله من أبكار غنمه ومن سمانها (تك٣ : ٤) . وشرح القديس بولس الرسول هذا الأمر بقوله «بإيمان قدم هابيل ذبيحة أفضل من قايين» (عب ١١ : ٤) . وهنا نسأل :

ومن أين عرف هابيل فكرة الذبيحة التى تقدم قرباناً لله ؟ ومن أين أتاه هذا الإيمان ، ولم تكن فى زمنه شريعة مكتوبة ؟

لاشك أنه تسلمها بالتقليد من أبيه آدم، وأبونا آدم تسلمها من الله نفسه، كل ذلك قبل أن يكتب موسى النبى عن الذبائح والمحرقات بأربعة عشر قرناً من الزمان.

* * *

٢ - ونفس الوضع يمكن أن نقوله عن كل المحرقات التى قدمها أباؤنا نوح وابراهيم واسحق و يعقوب، وأيوب أيضاً...

كلهم عرفوا الذبيحة وتسلموها عن طريق التقليد. وأيضاً تسلموا بناء المذابح، كما فعل أبونا نوح بعد الطوفان حينما «بنى مذبحاً للرب» (تك٨ : ٢٠)، وأبونا ابراهيم حينما بنى مذبحاً عند بلوطة مورا (تك١٢ : ٧) ، وتتابع معه بناء المذابح. ولم يكن هناك كتاب مقدس يأمر ببناء المذابح.

* * *

٣ - يذكر الكتاب أن أبانا نوح بعد الطوفان «أخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة ، وأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا» (تك٨ : ٢٠ ، ٢١).

فمن أين عرف نوح فكرة تقديم الذبائح من الحيوانات الطاهرة؟

لعله أخذها عن الله مباشرة، ثم سلمها للأجيال من بعده، قبل أن يشرح موسى فكرة ووصف الحيوانات الطاهرة، فى التوراة.

٤ - وفى قصة مقابلة أبينا ابراهيم لملكى صادق، قيل عنه أنه «كاهن الله العلى» (تك ١٤ : ١٨).

فمن أين عرف هذا الكهنوت، الذى أتاح لملكى صادق أن يبارك ابانا ابراهيم والذى جعل ابرام يقدم العشور لملكى صادق؟ (تك ١٤ : ٢٠) و يعتبر بهذا أكبر منه (عب ٧ : ٦ ، ٧).

وفى ذلك الحين لم تكن هناك شريعة مكتوبة تشرح الكهنوت وعمله وكرامته ومباركته للآخرين. وفى كل الاصحاحات السابقة من سفر التكوين لم ترد مطلقاً كلمة (كاهن) ولا كلمة (كهنوت)...

من أين معرفة الكهنوت إلا عن طريق التقليد...

٥ ـ وفى نفس قصة مقابلة ابرام لملكى صادق، نسمع أن ابرام، أعطاه عشراً من كل شيء (تك١٤ : ٢٠).

فمن أين عرف تقديم العشور للكهنة وقت أبينا ابراهيم، إلا عن طريق التقليد... إن شريعة العشور لم تكن قد وردت بعد فى شريعة مكتوبة.

* * *

وبنفس الوضع كيف عرف أبونا يعقوب فكرة العشور حينما قال للرب « وكل ما تعطينى، فإنى أعشره لك » (تك٢٨ : ٢٢).

قطعاً أبونا يعقوب تسلم شريعة العشور بالتقليد، إذ تسلمها عن جده ابراهيم الذى قدم العشور لملكى صادق، ولم يأخذها اطلاقاً من شريعة مكتوبة...

واضح أن التقليد كان معلماً للبشرية قبل الشريعة المكتوبة... وبقى بعدها...

* * *

٦ ـ فى قصة هروب أبينا يعقوب من وجه أخيه عيسو، حينما رأى سلماً منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء، والملائكة صاعدة ونازلة عليها. وكلمه الرب وأعطاه وعداً... يقول الكتاب أن يعقوب قال « ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء ». « ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل » « أى بيت الله » « وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه، وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه »..

فمن أين عرف أبونا يعقوب عبارة « بيت الله » ؟

ومن أين عرف فكرة تدشين بيوت الله بصب زيت عليها ؟ ولا شيء من هذا كله ورد له ذكر فى شريعة مكتوبة... وليس له تفسير سوى التقليد...

* * *

٧ ـ ولما أعطى الرب الشريعة المكتوبة، أبقى التقليد أيضاً.

وأوصى الآباء فى مناسبات عديدة ـ أن يوصوا أولادهم، ليسلموهم التعليم. فقد أمرهم أن يخبروا أولادهم بقصة ومناسبة تكريس كل بكر فاتح رحم للرب (خر١٣ :

١٤ - ١٦) . وقال للشعب أيضاً « إنما احترز واحفظ نفسك جداً ، لئلا تنسى نفسك ما أبصرت عيناك ، ولئلا تزول من قلبك كل أيام حياتك ، وعلمها أولادك وأولاد أولادك » (تث ٤ : ٩) .

* * *

٨ - وحتى فى المسيحية نرى أن بعض كتبة العهد الجديد كتبوا بعض معلومات عن العهد القديم أخذوها بالتقليد .

مثال ذلك بولس الرسول ذكر اسمى الساحرين اللذين قاوما موسى النبى فقال « وكما قاوم ينيس ويمبريس موسى ، كذلك هؤلاء أيضاً يقاومون الحق » (٢تى ٣ : ٨) .

ونحن لا نجد هذين الاسمين فى أسفار موسى النبى ولا فى كل أسفار العهد القديم . ولكن لعل بولس الرسول عرف ذلك عن طريق التقليد .

* * *

٩ - والذى حدث فى العهد الجديد هو نفس الذى حدث فى العهد القديم . ولكن بنسبة أقل .

إذ مضت مدة طويلة لم تكن هناك فيها أناجيل مكتوبة ولا رسائل مكتوبة .

وكل الناس يتلقون الايمان كله ، وقصة المسيح كلها ، وتعاليمه وعمله الفدائى ، كل ذلك عن طريق التقليد ، ما يقرب من عشرين سنة ...

* * *

١٠ - إن السيد المسيح لم يكتب انجيلاً ، ولم يترك انجيلاً مكتوباً . ولكنه كان يعظ ويعلم ، ويترك للناس كلامه روحاً وحياة (يو٦ : ٦٣) . وهذا يتناقله الناس . وحينما بدأ تعليمه وعمله الكرازى قال للناس « قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مر١ : ١٥) . ولم يكن هناك انجيل مكتوب ، إنما كانت هناك كرازة وبشارة مفرحة ، تلك التى تمثل الانجيل الشفاهى ، أو التعليم الإلهى الذى يتناقلونه بالتسليم .

ونفس المعنى يطلق على قول الرب لتلاميذه «اذهبوا إلى العالم أجمع ، وأكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مر١٦ : ١٥) كل ذلك خارج النطاق المكتوب .

١١ - وهنا أقول حقيقة هامة وهى :

الكتاب لم يذكر كل شئ

١ - لم يذكر كل ما فعله السيد المسيح ، ولا كل ما قاله ... إنما الذى حدث هو أن الإنجيليين اختاروا بعضاً من أقوال السيد المسيح ومن أعماله وسجلوها فى وقت ما للناس ، وتركوا الباقى . وهذا واضح فى آخر إنجيل قد كتب ، إذ يقول القديس يوحنا الرسول (وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع ، إن كتبت واحدة فواحدة ، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » (يو٢١ : ٢٥) كما يقول أيضاً « وآيات آخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت ، لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ، ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » (يو٢٠ : ٣٠ ، ٣١) .

* * *

لا تظنوا أن معجزات المسيح هى فقط التى وردت فى الانجيل فآلاف المعجزات لم تكتب . يكفى لاثبات هذا قول لوقا البشير « وعند غروب الشمس ، كان كل الذين عندهم مرضى بأنواع أمراض كثيرة يقدمونهم إليه ، فكان يضع يديه على كل واحد فيشفيهم » (لو٤ : ٤٠) .

ما عدد هؤلاء المرضى ؟ كثير جداً . ولم تسجل كل حوادث الشفاء و يقول معلمنا متى البشير « وكان يسوع يطوف كل الجليل ، يعلم فى مجامعهم و يكرز ببشارة الملكوت ، و يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » (متى ٤ : ٢٣) .

ما هى حوادث شفاء كل مريض ؟ لم تذكر .

* * *

وماذا كان تعليم الرب فى المجامع وكرازته ؟ لم يذكر أيضاً .

يقول معلمنا مرقس الانجيلي أن المسيح لما دخل كفر ناحوم، دخل المجمع «وصار يعلم فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم بسلطان وليس كالكتبة» (مر ١ : ٢١).

ما هو هذا التعليم الذى بهتوا منه ؟ لم يكتب.

وفى معجزة الخمس خبزات والسمكتين، كان يعلم الناس من الصباح حتى بدأ النهار يميل. فماذا كان تعليمه لهم ؟ لم يذكر شيء عنه فى الأناجيل.

وما هو التعليم الذى قاله المسيح على شاطىء البحيرة ؟ وعلى شاطىء النهر ؟ وفى السفينة ؟ وفى الطرقات ؟ لا نعرف، ولم يذكر فى الانجيل.

ب ـ وبعد قيامته، حدث نفس الوضع... قيل إن السيد المسيح قابل تلميذى عمواس.

« وبدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يشرح لهم الأمور المختصة به فى جميع الكتب» (لو ٢٤ : ٢٧).

كل هذا وغيره لم يكتب فى الاناجيل. ولكنه ولاشك وصل إلينا عن طريق التقليد، أو وصل بعضه على الأقل.

* * *

ج ـ ثم ماذا عن فترة الأربعين يوماً التى قضاها الرب مع تلاميذه بعد القيامة يتكلم معهم فيها عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١ : ٣).

ماذا قال الرب عن الأمور المختصة بملكوت الله ؟

لاشك أنها أشياء هامة جداً، استحقت من الرب لقاءات له مع تلاميذه بعد القيامة «ولكنها مع كل هذا لم تذكر فى الكتاب المقدس.. لعلها أمور كانت لقادة الكنيسة، يفهمونها، ثم يعلمونها للشعب، حسب قوله لهم «وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (مت ٢٨ : ٢٠). دون أن يذكر ما هو هذا الذى أوصاهم به.

* * *

فهل تعاليم المسيح هذه ووصاياه فقد فقدت، أم وصلت إلينا ؟

إننا نستبعد جداً أن تكون فقد فقدت ولها كل تلك الأهمية. فكيف إذن وصلت إلينا.

فإذا استثنينا بولس الرسول الذى لم يكن واحداً من الأحد عشر، ولم يحضر لقاءات المسيح مع تلاميذه بعد القيامة ، فإن ما كتبه الأحد عشر الذين قضى معهم الرب ٤٠ يوماً ، كان قليلاً ولا يشمل كل التعليم المسيحى .

بقيت اجابة واحدة ، وهى أن تعليم المسيح لتلاميذه وصل إلينا عن طريق التقليد أى التسليم الرسولى .

* * *

مارسته الكنيسة كحياة ، حسب قول الرب « الكلام الذى أقوله لكم هو روح وحياة » (يو٦ : ٦٣) . لقد فهموا روح الكلام ، وحولوه إلى حياة ووصل إلينا فى حياة الكنيسة .

يمكن أن نقول إذن أن التقليد هو حياة الكنيسة ، أو هو الكنيسة الحية .

وهذه الحياة أودعها الرسل القديسون فى الكنيسة بكل ما تعلموه من الرب وكل ما أخذوه منه . ولكنهم لم يكتبوه فى أناجيل أو رسائل ، إنما تركوه حياً فى حياة الكنيسة . ولعل من بين هذا نظم الكنيسة وطقوسها وأسرارها .

* * *

هل تظنون أن عظة السيد المسيح على الجبل (متى ٥ : ٧) ، هى كل عظاته على مدى أكثر من ثلاث سنوات ؟! هذا غير معقول طبعاً . ولكن كلام الرب لم يضع . حفظه التلاميذ فى قلوبهم ، وفى آذانهم وأذهانهم ومن كنز قلبهم الصالح ، ومن ذاكرتهم المقدسة ، أخرجوا أقوال الرب وسلموها للكنيسة ، وأودعت فيها بعنوان (التقليد) أو التسليم الرسولى ، والروح القدس الذى حل عليهم ، ذكرهم بما قاله الرب حسب وعده الصادق (يو١٤ : ٢٦) هذا عن كلام السيد المسيح نفسه .

التقليد من تعليم الرسل

إن رسلاً كثيرين لم يكتبوا رسائل ، فأين تعليمهم ؟ وأين عمل الوحى الإلهى فيهم ، وعمل الروح القدس الناطق فى الأنبياء ؟

وبعض الرسل لا يمكن أن يكون كل تعليمهم هو فقط ما وصل إلينا منهم . لا يمكن أن يكون كل تعليم يعقوب الرسول ، هو تلك الرسالة الواحدة . ولا يمكن أن يكون كل تعليم يهوذا الرسول هو إصحاح واحد . وماذا عن باقى الإثنى عشر الذين لم يصل لنا من تعليمهم حرف واحد ؟ ماذا كانت كرازتهم ؟ وماذا تركوا للكنيسة ؟

لعل كل هذا أو بعضاً منه ، وصل إلينا عن طريق التقليد .

كان الرسل يدخلون إلى المجامع ، و يعلمون ويحاججون المعارضين ولم يصل إلينا شيء من هذا . بشروا فى أورشليم واليهودية والسامرة ، حتى آمن الكل . ولم تصل إلينا إلا كلمات قليلة من تبشيرهم . و بولس الرسول استأجر بيتاً فى رومة ، وأقام فيه سنتين كارزاً بملكوت الرب ومعلماً بكل مجاهرة (أع ٢٨ : ٣٠ ، ٣١) . ولم يصل إلينا شيء من هذا ، فأين ذهب ؟

***

ولاشك أن الرسل قد وضعوا أنظمة للكنيسة . فما هى ؟

هل نعقل أن رسل المسيح ، بكل ما أودعه الرب فيهم من علم ، تركوا الكنيسة بلا نظم ، ولا قوانين تدبر شئونها . يقيناً إنهم فعلوا ذلك ولكنهم لم يكتبوها فى رسائلهم : إما لأنها ليست لعامة الناس ، وإما لأنها ستكون معروفة للكل عن طريق الممارسة .

وهذه كلها بلا شك ، وصلت عن طريق التسليم والتقليد .

هوذا يوحنا الرسول يقول فى آخر رسالته الثانية «إذ .. كان لى كثير لأكتب إليكم ، لم أرد أن يكون بورق وحبر ، لأنى أرجو أن آتى إليكم وأتكلم فماً لفم» (٢يو١٢) . وكرر نفس الكلام فى آخر رسالته الثالثة (٣يو١٣ : ١٤) فما هو هذا الكلام الذى قاله فماً لفم ، ولم يكتبه ؟ فكيف وصل إلينا ؟

***

نلاحظ ـ فيما اقتبسناه هنا من هاتين الرسالتين ، أن الآباء الرسل كانوا فى بعض الأحيان يفضلون الكلام على الكتابة حيثما توفر لهم ذلك . وتعليمهم الشفاهى ، كان يسلمه جيل إلى جيل ، حتى وصل إلى أيامنا .

أو أنهم ركزوا فى رسائلهم بقدر الإمكان على الأمور العامة الخاصة بالقواعد الأساسية للإيمان، أما عن تفاصيل النظم الكنسية والطقوس، فتركوها للترتيب عملياً فى الكنائس. وكان الناس يتعلموها ليس عن طريق الكتابة، إنما عن طريق الحياة والممارسة.

***

وبولس الرسول يقول فى رسائته الأولى إلى أهل كورنثوس «وأما الأمور الباقية، فعندما أجيء أرتبها» (١كو١١ : ٣٤). فما هو هذا الترتيب الرسولى الذى لم يصل إلينا؟ ألعله وصل إلينا بالتقليد؟

وقال القديس بولس الرسول لتلميذه تيطس أسقف كريت «من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل الأمور الناقصة، وتقيم فى كل مدينة قسوساً كما أوصيتك» (تى ١ : ٥). ولم يشرح فى رسالته هذه طريقة إقامة القسوس هذه:

سواء من جهة الصلوات أو الطقس، أو الشروط اللازمة. فمن أين عرف تيطس هذا الأمر إلا بالتسليم الشفاهى. لهذا قال له «كما أوصيتك». وهذه الوصية لم تذكر تفاصيلها فى الرسالة، إنما عرفها الأسقف تيطس فماً لفم، ووصلت إلينا نحن عن طريق التقليد.

ونفس الوضع يفهم مما قاله القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس أسقف أفسس «وما سمعته منى بشهود كثيرين، أودعه أناساً أمناء، يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً» (٢تى ٢ : ٢).

هنا سماع وليس كتابة. ولم يذكر ما هذا الذى سمعه منه. ولكن لاشك أن هذا التعليم انتقل من القديس بولس، إلى القديس تيموثاوس، إلى الأشخاص الأمناء الأكفاء، الذى أوصلوه إلى آخرين أيضاً. وظل التسليم يتتابع حتى وصل إلينا.

إن الذين يصرون على اثبات كل شيء بآية من الكتاب، ينسون ما قاله الرسل فماً لفم (٢يو) وما رتبوه فى الكنائس دون أن يكتبوه (١كو١١ : ٣٤) وما أوصوا به تلاميذهم (تى١ : ٥). ينسون التعليم الرسولى الذى تحول إلى حياة وممارسة فى الكنيسة دون أن يكون نصاً من رسالة أو إنجيل...

***

ونذكر مثالاً لذلك تقديس يوم الأحد كيوم للرب .

إن كل المسيحيين الذين يؤمنون بالكتاب المقدس وحده ، ويهاجمون التقليد الكنسى ، كلهم يقدسون يوم الأحد بدلاً من يوم السبت ، ولا يتمسكون إطلاقاً بحرفية الآية التى تقول « اذكر يوم السبت لتقدسه » (خر ٢٠ : ٨) (تث ٥ : ١٢) .

فمن أين استقوا التعليم بتقديس الأحد بدلاً من السبت ؟

هل من الإنجيل أم من التقليد ؟ لاشك أنه من التقليد . ذلك لأنهم لا يجدون آية واحدة تقول « قدس يوم الأحد » أو « أذكر يوم الأحد لتقدسه ، عملاً من الأعمال لا تعمل فيه » .

ولكن تقديس الأحد كان تقليداً كنسياً مارسه الآباء الرسل ، آخذين إياه من تعليم السيد المسيح الذى لم يذكر صراحة فى الإنجيل . إنما ذكرت فى سفر أعمال الرسل ممارسات توحى بهذا التسليم الإلهى .

بحيث تحول الأمر إلى ممارسة كنسية معترف بها ، دون الحاجة إلى وصية مكتوبة ، وهذا الإجماع على تقديس الأحد فى كل الكنائس ، دليل على الاعتراف بالتقليد .

***

فى رسائل بولس الرسول ما يشير إلى أنه كان يتسلم من الرب .

فهو يقول عن سر الافخارستيا « لأنى تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً : أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً ... (١كو ١١ : ٢٣) .

فهو هنا يتكلم عن تسليم ، أخذه من الرب ، وسلم إلى الكنيسة فى كورنثوس ولم يذكر لنا الكتاب كيف ومتى أخذ بولس الرسول هذا التسليم من الرب . ولكنه يعطى فكرة عن العقائد الكنسية ، وكيف دخلت إلى الكنيسة بالتسليم .

لقد عرفنا من قبل فى الأناجيل كيف أن الرب سلم للرسل هذا السر ، ولكنهم لم يذكروا أنهم سلموه للكنيسة . ليس من المهم أن يكتبوا هذا إنما أن تحياه الكنيسة وتمارسه . ولكن بولس الرسول ذكر هذا التسليم .

***

هناك أشياء أخرى أخذها الرسل عن طريق التقليد وسجلوها فى رسائلهم .

وقد ذكرنا بعضاً منها قبلاً ، ونضيف عليها ما ورد فى رسالة يهوذا ، من الخصومة مع الشيطان على جسد موسى ، إذ يقول « وأما ميخائيل رئيس الملائكة ، فلما خاصم ابليس محاجاً عن جسد موسى ، لم يجسر أن يورد حكم افتراء ، بل قال : لينتهرك الرب (يه ٩) . ولم يرد شيء من هذا كله فى العهد القديم . ولعل يهوذا عرفه عن طريق التقليد .

***

ب ـ وكذلك فى وصف تلقى الشعب للشريعة من جبل مضطرم ، يقول القديس بولس الرسول « وكان المنظر هكذا مخيفاً ، حتى قال موسى : أنا مرتعب ومرتعد » (عب ١٢ : ٢١) . وهذه العبارة المنسوبة إلى موسى النبى لم ترد فى سفر الخروج ولا فى سفر التثنية . ولعل بولس الرسول عرفها عن طريق التقليد .

***

ج ـ كذلك نضيف ما ورد فى سفر الرؤيا عن ضلاله بلعام ، هذه التى لم يشرح سفر العدد تفاصيلها (عدد ٢٤ : ٢٥) .

ولكن ورد فى سفر الرؤيا « أن عندك قوماً متمسكين بتعاليم بلعام الذى كان يعلم بالاق أن يلقى معثرة أمام بنى اسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للأوثان ويزنوا » (رؤ ٢ : ١٤) . وقد ذكر سفر العدد أنهم فعلوا ذلك (عد ٢٥) . ولكن لم يذكر أن ذلك كان من تعليم بلعام . ولعل القديس يوحنا الرائى عرف هذا عن طريق التقليد .

كذلك يدخل فى هذا الموضوع ما ذكره بطرس الرسول أيضاً عن بلعام (٢بط ٢ : ١٥) . وما ذكره يهوذا (يه ١١) من حيث أنه « أحب أجرة الإثم » .

***

د ـ وبنفس الوضع تحدث يهوذا الرسول عن نبوءة لأخنوخ لم ترد فى العهد القديم ، فقال « وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم قائلاً : هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه ، ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم » (يه ١٤ ، ١٥) . وهذه النبوءة لعل مصدرها التقليد أيضاً .

هـ ـ نلاحظ أن وصية الختان استلمها أبونا ابراهيم من الله (تك ١٧) وانتشرت بين الناس عن طريق التسليم قبل أن توجد شريعة مكتوبة تدعو إليها .

من فوائد التقليد

١ - بالتقليد عرفنا الكتاب المقدس نفسه ، فبالتسليم وصلت إلينا كتب الله ، وما كنا لنعرفها ونميزها بغير هذا الطريق . والمجامع المقدسة هى التى حددت لنا كتب العهد الجديد .

٢ - بالتقليد وصل إلينا كل تراث الكنيسة وكل نظمها وكل طقوسها .

٣ - التقليد هو الذى حفظ لنا الإيمان السليم . سلمه جيل إلى جيل . ولو ترك كل شخص لنفسه يرى ما الذى يفهمه من آيات الكتاب ، لوجدت شيع ومذاهب متعددة لا تربطها وحدة فى الإيمان . لأن الكتاب المقدس شيء . وطريقة تفسيره شيء آخر .

٤ - حفظ لنا بعض عقائد وتعاليم ، مثل تقديس يوم الأحد ، ورشم الصليب وشريعة الزوجة الواحدة ، والصلاة على الراقدين ، وحفظ لنا عمل كل رتب الكهنوت .

التقليد الصحيح والتقاليد الباطلة

إن الذين يرفضون التقليد ، يحتجون على ذلك بأن السيد المسيح قد رفضه فى توبيخ الرب للكتبة والفريسيين «وأنتم لماذا تتعدون وصية الرب بسبب تقليدكم» (متى١٥ : ٣) وإدانة فى نفس المناسبة لبعض التقاليد الخاطئة (متى١٥ : ٤ - ٦) .

وكذلك يحتجون بقول الرسول «انظر أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة أو بغرور باطل حسب تقليد الناس ... وليس حسب المسيح» (كو٢ : ٨) .

ونحن لا نقصد فى حديثنا عن التقليد تلك التقاليد الباطلة التى هى من صنع الناس ، أو التى هى ضد تعليم الكتاب أو ضد روحه ، أو كالتقاليد التى اظهر السيد المسيح زيفها ...

***

إنما نقصد التقليد السليم الذى هو على أنواع :

١ - تعليم الرب نفسه الذى وصل عن طريق التقليد .

٢ ـ التقليد الرسولى الذى هو تعليم الآباء الرسل وقد وصل إلينا عن طريق التسليم جيل يسلم جيلاً .

٣ ـ التقليد الكنسى ، الذى قررته مجامع الكنيسة المقدسة فى قوانينها ونظمها أو ما وصل إلينا عن طريق الآباء الكبار معلمى البيعة أو ابطال الإيمان . وهذا ينقلنا إلى نقطة هامة وهى :

سلطة الكنيسة فى التشريع

هذا السلطان الذى سلمه السيد الرب للآباء الرسل فى قوله لهم « ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء . وما حللتموه على الأرض يكون محلولاً فى السماء (متى ١٨ : ١٨) . وقد بدأت الكنيسة عملها هذا بعقد أول مجمع كنسى فى أورشليم سنة ٤٥م . وهذا المجمع ناقش موضوع « قبول الأمم فى الإيمان » . وقرر فيه الآباء الرسل قبول الأمم مع التخفيف عليهم فقالوا « رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة : أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام ، وعن الدم والمخنوق والزنا » (أع ١٥ : ٢٨ ، ٢٩) .

ثم توالى عقد المجامع المقدسة ، المكانية والمسكونية ، من خلال سلطة التعليم والتشريع والتقنين التى منحها الرب لسلطان الكهنوت . وأصدرت هذه المجامع تعليماً ونظماً للكنيسة دخلت ضمن التقليد الكنسى .

ويشترط فى التقليد السليم :

١ ـ أنه لا يعارض الكتاب المقدس (غل ١ : ٨) .

٢ ـ أن يكون غير متعارض مع التقاليد الكنسية الأخرى .

٣ ـ أن يكون مقبولاً من الكنائس .

والمعروف أنه فى كل جيل تظهر أمور جديدة لم تكن معروفة من قبل تحتاج إلى إبداء رأى الدين فيها ، حتى لا يتبلبل الناس وتتشتت أراؤهم ولا يعرفون أين الحق من الباطل . لأنه ليس جميع الناس علماء بالكتاب وبقواعد الدين .

لذلك تقوم الكنيسة بسلطانها التعليمى والتشريعى، بابداء رأى الدين فى هذه الأمور، لأنه من فم الكاهن تطلب الشريعة كما يقول الكتاب .

وبتوالى الأجيال يتحول تعليم الكنيسة فى جيل معين إلى تقليد تتوارثه الأجيال .

***

وقد أمر الآباء الرسل بحفظ التقاليد :

فقال الرسول «إذن أيها الأخوة تمسكوا بالتقليدات التى تسلمتوها سواء بالكلام أو برسالتنا» (٢تس ٢ : ٢ - ١٥) ، وقال أيضاً «تجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب ، وليس حسب التقليد الذى أخذه منا» (٢تس ٣ : ٦) . قال لأهل كورنثوس «أمدحكم على أنكم تذكروننى فى كل شىء ، وتحفظون التقليدات التى سلمتها إليكم» (١كو١١ : ٢) .

وللأسف فإن اخوتنا البروتستانت فى الترجمة البيروتية للكتاب وضعوا كلمة (تعاليم) بدلاً من كلمة (تقاليد) فى الأمور التى تؤيد فكرة التقاليد . واستبقوا كلمة تقاليد فى كل ما يدل على التقاليد الباطلة وترفضه الكنيسة المقدسة .

* * *

البروتستانت لهم تقاليد :

وهذه التقاليد ، عبارة عن أنظمة توحد حياة الطائفة فى العبادة ، ويمكن أن نراها فى كتاب الصلوات الخاص بهم مثلاً ... وفى اقامة القسوس ، والشيوخ ، وما أشبه ...

لا يحدث أن كل أحد يقول ما يخطر بباله . أو يفعل حسبما يشاء ، وإنما هناك قواعد متبعة يراعونها .

هذه بلا شك تقاليد ، مهما وضعت لها اسماء أخرى .

وعلى أية الحالات ، فإن البروتستانت ، على الرغم من إنكارهم للتقاليد ، لهم أيضاً تقاليد يحفظونها ، ويلتزمون بها . ولهم طقوس مع إنكارهم للطقوس . ولهم صلوات محفوظة وقراءات ثابتة فى الرسامات وفى أمور الزواج والمعمودية فى مناسبات الموت ، على الرغم من إنكارهم للصلوات المحفوظة .

لهم إذن تقاليد ... ولكنهم ينكرون التقاليد التى يرونها مخالفة لعقائدهم

الخاصة. على أن التقاليد تراث ثمين، من الخسارة لأى كنيسة أن تفقده، وتصبح بلا ماض، وبلا ضابط يضبط حرية كل إنسان فى الفهم والتفسير.

* * *

كذلك اخوتنا البروتستانت يراعون أقوال الآباء عندهم.

فبينما نحن نضع فى أقوال الآباء (فى الباترولوجى) كتابات القديس يوحنا ذهبى الفم مثلاً فى التفسير. ونضع فى اللاهوت والعقيدة، كتابات القديس أثناسيوس والقديس كيرلس الكبير والقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات... يعطون هم أهمية خاصة لكتابات لوثر وكلفن وزوينجل ومودى، ومن إليهم من مشاهير الأشخاص الذين لا يسمونهم آباء. ولكن من الناحية العملية توضع كتاباتهم فى علم الباترولوجى...

وإن كانوا يحترمونهم، ولكنهم لا يلتزمون بهم...

كتاباتهم لها أهمية، ولكن يمكن معارضتها وتجاوزها... كمجرد آراء، لها أهمية، ولكنها غير ملزمة...


الفصل الرابع
الشفاعة

شفاعتان

البروتستانت ينكرون الشفاعة كلية سواء بالعذراء أو الملائكة أو القديسين، ويعتمدون فى ذلك على قول يوحنا الرسول «لنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار» (١يو٢: ١). وأيضاً قول بولس الرسول «لأنه يوجد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح» (١تى ٢: ٥).

١ - والحقيقة أن هناك فارقاً أساسياً كبيراً بين شفاعة المسيح وشفاعة القديسين: فشفاعة المسيح شفاعة كفارية ...

أى أن السيد المسيح يشفع فى مغفرة خطايانا باعتباره الكفارة التى نابت عنا فى دفع ثمن الخطية. فكأن شفاعته معناها أن يقول للآب «اترك لهم حساب خطاياهم، لأنى حملت عنهم هذه الخطايا» (اش٥٣: ٦).

وهكذا يقف وسيطاً بين الله والناس. بل أنه الوسيط الواحد الذى وقف بين الله والناس: اعطى الآب حقه فى العدل الإلهى، واعطى الناس المغفرة، بأن مات عنهم، كفارة عن خطاياهم.

وهذا هو المعنى الذى يقصده القديس يوحنا الرسول. فهو يقول «إن أخطأ أحد، فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو٢: ١، ٢).

هنا تبدو الشفاعة الكفارية واضحة. فهى شفاعة فى الإنسان الخاطىء «إن أخطأ أحد» وهذا الخاطىء يحتاج إلى كفارة. والوحيد الذى قدم هذه الكفارة هو يسوع المسيح البار. لذلك يستطيع أن يشفع فينا، بدمه المسفوك عنا.

ونفس المعنى أيضاً يحمله قول بوليس الرسول عن السيد المسيح باعتباره الوسيط الوحيد بين الله والناس. فيقول فى ذلك «وسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح، **الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع**» (١تى٢: ٥). فهو هنا يشفع باعتباره الفادى الذى بذل نفسه ودفع ثمن خطايانا.

هذا اللون من الشفاعة لا نقاش فيه مطلقاً. إنه خاص بالمسيح وحده أما شفاعة القديسين في البشر، فلا علاقة لها بالكفارة ولا بالفداء. وهي شفاعة فينا عند السيد المسيح نفسه.

* * *

٢ ـ شفاعة القديسين فينا هي مجرد صلاة من أجلنا ولذلك فهي شفاعة توسلية غير شفاعة المسيح الكفارية.

والكتاب يوافق عليها، إذ يقول «صلوا بعضكم لأجل بعض» (يع ٥ : ١٦)، والقديسون أنفسهم كانوا يطلبون صلوات الناس عنهم. فالقديس بولس يقول لأهل تسالونيكي «صلوا لأجلنا» (٢تس ٣ : ١). ويطلب نفس الطلبة من العبرانيين (عب ١٣ : ١٨). ويقول لأهل أفسس «مصلين بكل صلاة وطلبة... لأجل جميع القديسين، ولأجلي لكي يعطى لي كلام عند افتتاح فمي» (أف ٦ : ١٨)، وطلب الصلاة لا حصر له في الكتاب المقدس.

فإن كان القديسون يطلبون صلواتنا، أفلا نطلب نحن صلواتهم؟

وإن كنا نطلب الصلاة لأجلنا من البشر الأحياء، الذين لا يزالون في فترة الجهاد «تحت الآلام مثلنا» أفلا نطلبها من القديسين الذين أكملوا جهادهم، وانتقلوا إلى الفردوس، يحيون فيها مع المسيح ...!

وهل هؤلاء قلت مكانتهم بعد انتقالهم من الأرض إلى الفردوس. بحيث كان يجوز لنا أن نطلب صلواتهم وهم على الأرض. واصبحت صلواتهم محرمة وهم قريبون من الله في الفردوس.

وإن كنا نطلب صلوات البشر، هل كثير أن نطلب صلوات الملائكة؟!

امثـلة للشـفاعة

٣ ـ إن الله يطلب من الناس شفاعة الابرار فيهم:

يطلب ذلك بنفسه، ويقبله ويفسح له مجالاً لكي يحدث. وسأضرب بعض أمثلة لهذه الشفاعات التي قبلها الله:

أ ـ قصة أبينا ابراهيم ، وأبيمالك الملك :

لقد أخطأ ابيمالك وأخذ سارة زوجة ابراهيم، وضمها إلى قصره وفعل ذلك بسلامة قلب ، لأن ابراهيم كان قد قال عنها أنها أخته . فظهر الرب لأ بيمالك فى حلم ، وأنذره بالموت . ثم قال له « فالآن رد إمرأة الرجل ، فإنه نبى ، فيصلى لأجلك فتحيا » (تك ٢٠ : ١ - ٧) .

كان يستطيع أن يغفر للرجل، بمجرد رده للمرأة إلى زوجها ، ولكنه اشترط للمغفرة ، أن يصلى ابراهيم لأجله ، فيحيا . وهكذا نرى أن الله اشترط وطلب شفاعة ابراهيم فى أبيمالك .

ب ـ قصة أيوب الصديق، وأصحابه الثلاثة (أى ٤٢) :

بنفس الطريقة اشترط الرب شفاعة أيوب الصديق فى أصحابه الثلاثة وصلاته من أجلهم لكى يغفر الرب لهم .

وفى هذا يقول الكتاب «إن الرب قال لأليفاز التيمانى قد احتمى غضبى عليك وعلى صاحبيك... والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش، واذهبوا إلى عبدى أيوب واصعدوا محرقة . وعبدى أيوب يصلى من أجلكم، لأنى أرفع وجهه لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم» (أى ٤٢ : ٧ ، ٨) .

فى كلا الحادثين، الله يكلم الشخص بنفسه ، ولكنه لا يعطيه غفراناً مباشراً ، وإنما يشترط صلاة القديس من أجله ، لكى ينال المخطىء هذا الغفران ، ولكى يرفع الله وجه هذا القديس و يعطيه كرامة أمام الناس . و يقبل الله هذه الوساطة ، بل يطلبها .

ج ـ شفاعة ابراهيم فى سادوم :

كان يمكن لله أن يعاقب سادوم ، دون تدخل أبينا ابراهيم فى الموضوع . وابراهيم لم يتدخل من نفسه ، وإنما الرب هو الذى عرض عليه الأمر وأدخله فيه ، وأعطاه فرصة للتشفع فى هؤلاء الناس ، وقبل شفاعته . وسمح أن تسجل لنا هذه الحادثة ، لكى يرفع وجه ابراهيم أمام العالم كله ، و يرينا الله كيف يكرم قديسيه... وفى هذا قال الكتاب : « فقال الرب هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله ؟ » (تك ١٨ : ١٧) ...

وعرض الرب موضوع سادوم على ابراهيم، وأعطاه فرصة أن يتشفع فيها، عسى أن يوجد في المدينة خمسون، أو ٤٥، أو ٤٠، أو ٣٠، أو ٢٠، أو ١٠، فلا يهلك الرب المدينة من أجل هؤلاء.

ومجرد أن الرب لا يهلك المدينة من أجل هؤلاء الأبرار الذين في المدينة لا يعطينا فقط مجرد فكرة عن كرامة ابراهيم أمام الرب. إنما أيضاً كرامة هؤلاء الأبرار أمام الله.

«فقال الرب: إن وجدت في سادوم خمسين باراً... فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم»... «لا أفعل من أجل الأربعين...» «لا أهلك من أجل العشرين» «لا أهلكهم من أجل العشرة» (تك ١٨: ٢٦ إلى ٣٢).

إن عبارة «من أجل...» لها قيمتها اللاهوتية الدالة على انقاذ الله لاشخاص، من أجل آخرين وتعطي دلالة واضحة على وساطة الأبرار من أجل الخطاة، وقبول الله هذه الوساطة، حتى دون أن يطلب هؤلاء وأولئك...

د ـ شفاعة موسى في الشعب:

أراد الله أن يهلك الشعب لعبادة العجل الذهبي. ولكنه لم يفعل مباشرة، وإنما عرض الأمر على موسى النبي، وأعطاه فرصة للشفاعة فيهم وقبل شفاعته.

وكما قال له ابراهيم «حاشاك يارب»، قال له موسى «ارجع يارب عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم...» ويقول الكتاب بعد هذا «فندم الرب على الشر الذي قال أنه سيفعله بشعبه» (خر ٣٢: ٧- ١٤).

* * *

هـ ـ هذه أمثلة صلوات أحياء من أجل أحياء. أما الذين انتقلوا فلهم مكانة أكبر **لدرجة أن الله كان يرحم الناس من أجلهم حتى دون أن يصلوا. فكم بالأولى إن صلوا لأجل أحد:**

ومن أمثلة ذلك ما فعله الرب من أعمال الاشفاق والرحمة من أجل داود عبده بسبب خطية سليمان. قرر الله أن يمزق مملكته. ولكنه يقول له عن تقسيم المملكة

« إلا أنني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك ، بل من يد ابنك أمزقها . على أني لا أمزق منك المملكة كلها ، بل أعطى سبطاً واحداً لابنك ، لأجل داود عبدى ، ولأجل أورشليم التى اخترتها » (١مل ١١ : ١٢ ، ١٣) ...

ويكرر الرب نفس الكلام فى حديثه مع يربعام « هأنذا أمزق المملكة من يد سليمان ، وأعطيك عشرة أسباط . و يكون له سبط واحد من أجل داود عبدى ، ومن أجل أورشليم التى اخترتها » (١مل ١١ : ٣١ ، ٣٢) ...

« ولا آخذ كل المملكة من يده ، بل أصيره رئيساً كل أيام حياته ، لأجل داود عبدى ، الذى اخترته ، الذى حفظ وصاياى وفرائضى (١مل ١١ : ٣٤) .

الله يكرر نفس العبارة ثلاث مرات فى اصحاح واحد « من أجل داود عبدى لهذا قال المرتل « من أجل داود عبدك لا ترد وجهك عن مسيحك » (مز ١٣٢ : ١٠) .

إن كانت هكذا مكانة داود عند الرب ، فكم بالأكثر تكون مكانة العذراء ، والملائكة ومكانة يوحنا المعمدان أعظم من ولدته النساء . وكم تكون مكانة الشهداء الذين تعذبوا وذاقوا الموت من أجل الرب .

★ ★ ★

لذلك ، مادمنا نطلب صلوات رفقائنا على الأرض ، فلماذا لا نطلب صلوات أولئك الذين « يضيئون كالكواكب إلى أبد الدهور » (دا ١٢ : ٣) ؟! ولماذا لا نطلب صلوات أولئك الذين جاهدوا الجهاد الحسن ، وأكملوا السعى وحفظوا الإيمان » (٢تى ٤ : ٧) .

وإن كانت الشفاعة - وهى صلاة - تعتبر وساطة ، وإن كانت كل وساطة غير مقبولة ، تكون إذن كل صلاة إنسان من أجل إنسان آخر هى أيضاً وساطة مرفوضة إذ لنا وسيط واحد ... !

و برفض وساطات الصلاة ، يكون الرسول إذن قد أخطأ (حاشا) حينما قال « صلوا بعضكم لأجل بعض » (يع ٥ : ١٦) ، على اعتبار أن العلاقة بين الإنسان والله ، علاقة مباشرة ، وهى فى ظل الحب الإلهى لا تحتاج إلى صلاة من أحد ... !

وبالتالى تكون كل الصلوات من أجل الآخرين التى وردت فى الكتاب لا معنى لها وضد الحب الإلهى !!

لأن الله يحب الناس ، وهو غير محتاج إلى آخرين يصلون عن أولاده و يذكرونه برعايته الأبوية لهم وبحبه الأبوى !

و يكون هؤلاء أيضاً قد أساءوا فهم القصد الإلهى ، حينما طلب الله من أبيمالك أن يصلى عنه ابراهيم (تك ٢٠ : ٧) ، وحينما طلب من أصحاب أيوب أن يصلى عنهم أيوب (أى ٤٢ : ٨) .

* * *

إن صلوات البشر بعضهم لأجل بعض (منتقلين ومجاهدين) دليل على المحبة **المتبادلة بين البشر، ودليل على إيمان البشر الأحياء بأن الذين انتقلوا مايزالون أحياء يقبل الله صلواتهم ، دليل على إكرام الله لقديسيه .**

من أجل هذا سمح الله بهذه الشفاعات ، لفائدة البشر . وهذه الشفاعة أقامت جسراً ممتداً بين سكان السماء وسكان الأرض . ولم تعد السماء شيئاً مجهولاً مخيفاً فى نظر الناس . وأصبح للناس إيمان بالأرواح وعملها ومحبتها .

* * *

هناك سؤال هام كثيراً ما يقدمه منكرو الشفاعة وهو :

هل يعرف الملائكة والقديسون حالتنا على الأرض ؟

وهل ارواح القديسين تعرف حالتنا ؟ وهل تصلهم صلواتنا ؟

ونجيب على هذا السؤال بنعم . أما الأدلة فهى :

أ ـ **لاشك أن معرفة السماء أكثر من معرفة الأرض.** لذلك من المذهل أن يسأل أحد : هل القديسون فى السماء يعرفون أخبارنا وصلواتنا على الأرض ؟

هوذا بولس الرسول يجيب ويقول «فإننا ننظر فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه ، الآن أعرف بعض المعرفة ، لكن حينئذ سأعرف كما عرفت» (١كو١٣ : ١٢).

إذن معرفتنا فى العالم الآخر ستزيد، وستنكشف لنا أسرار كثيرة عندما نخلع هذا الجسد المادى الذى يقيد الروح. حينئذ، هناك، ستتسع معرفة الروح، وستخرج من نطاق (بعض المعرفة) إلى مجال أوسع.

يضاف إلى هذه المعرفة، ما يعلنه الرب للأرواح، أى ما يدخل فى نطاق الكشف الإلهى.

ب - معرفة الملائكة واضحة من قول الرب أنه «**يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من ٩٩ باراً لا يحتاج إلى توبة**» (لو١٥: ١٠).

ومعنى هذا أن أخبار الأرض تصل إلى سكان السماء، سواء كانوا ملائكة أو أرواح قديسين. فيعرفون من يتوب، ومن لا يحتاجون إلى توبة، ويسرون لتوبة الخاطىء لأنهم إن كانوا لا يعرفون فكيف سيفرحون..؟!

* * *

ج - الملائكة تعرف صلواتنا، لأنها تحمل صلواتنا إلى عرش الله.

والشهادات كثيرة على هذا فى سفر الرؤيا.

ورد فى سفر الرؤيا (٨: ٣-٥): «وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب، وأعطى بخوراً كثيراً لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش، فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله».

وهنا ترى صلوات القديسين تصعد أمام الله، من يد الملاك ومبخرته. فكيف لا يعرفها..؟

وكما يعرف الملائكة صلواتنا ويعرفونها، كذلك الحال أيضاً بالنسبة إلى الأربعة والعشرين قسيساً:

ورد فى (رؤ٥: ٨) عن الأربعة والعشرين قسيساً: «ولهم كل واحد قيثارات، وجامات من ذهب، مملوءة بخوراً هى صلوات القديسين، داخل مجامرهم يرفعونها إلى الله. وهذا دليل على معرفتهم لهذه الصلوات التى يرفعونها إلى الله.

ولاشك أنه مما يمكن أن يقال أيضاً ذكر « ملائكة الاطفال » حيث قال الرب « أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأني أقول لكم إن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون إلى وجه أبي الذى فى السموات (متى ١٨ : ١٠).

* * *

د ـ مثال آخر هو قصة ابراهيم والغنى ولعازر (لو١٦) :

قال أبونا ابراهيم للغنى « أذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك، وكذلك لعازر البلايا » (لو١٦ : ٢٥). فمن أين عرف أبونا ابراهيم البلايا التى احتملها لعازر المسكين، ومن أين عرف تنعمات الرجل الغني ؟ وكيف قال عن أهل الغنى أنه « عندهم موسى والأنبياء، بينما أبونا ابراهيم انتقل من الأرض قبل موسى بمئات السنين، وقبل باقى الأنبياء، ولكنه عرف هذا كله ؟

وكيف لا يعرف ابراهيم، وهو الذى قال عنه الرب « رأى يومى ففرح » (يو٨ : ٥٦).

* * *

هـ ـ شهادة من أنفس الذين استشهدوا :

يقول القديس يوحنا فى سفر الرؤيا (٦ : ٩ـ ١١) إنه لما فتح الختم الخامس، رأى نفوس الذين استشهدوا تحت المذبح، يصرخون بصوت عظيم قائلين « حتى متى أيها السيد القدوس والحق، لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض ؟ « فاعطى كل واحد ثياباً بيضاً، وقيل لهم أن يستريحوا زماناً قليلاً حتى يكمل العبيد رفقاؤهم سلسلة الشهداء ...

إذن فهؤلاء قد عرفوا ـ بعد وفاتهم ـ أن الرب لم ينتقم لهم بعد. وهم يصرخون إلى الله : إلى متى تترك الشر ينتصر فى الأرض ؟ وإلى متى تترك الأقوياء بالجسد يحطمون أولادك ؟ وإلى متى سيسفكون هذه الدماء ؟

فمن أين لهؤلاء أن يعرفوا كل هذا ؟

أنهم يعرفون. وعندما سيكمل العبيد رفقاؤهم، سيعرفون ...

قصة عجيبة عن إيليا النبي (٢ أي ٢١) .

تروى القصة أن يهورام الملك قتل جيع أخوته ، وسلك فى الفساد فى طريق آخاب الردية ، وأقام مرتفعات للأصنام ، وعمل الشر فى عينى الرب ...

وإذ بكتابة من ايليا النبى تصل إليه ... كان إيليا قد ترك الأرض ، وصعد إلى السماء منذ سنوات خلت .

« أتت إليه كتابة من إيليا النبى تقول : هكذا قال الرب إله داود أبيك : من أجل أنك لم تسلك فى طريق يهوشافاط أبيك وطرق آسا ملك يهوذا ، بل سلكت فى طرق ملوك اسرائيل ... وقتلت أيضاً أخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك ، هوذا الرب يضرب شعبك وبنيك ونساءك وكل مالك ضربة عظيمة ... » (٢أى ٢١ : ١٢ - ١٤) .

كيف حدث كل هذا ؟ وكيف عرف إيليا كل هذه الأخبار بعد انتقاله من الأرض ؟ وكيف أرسل كتابه إلى يهورام ينذره فيها بأن الرب سيضربه وأهله وشعبه ضربة عظيمة بسبب خطاياه .. ؟

هل بعد هذا نتكلم عن معرفة القديسين ؟

* * *

٥ - أمور تشرح عظمة القديسين ومعرفتهم ورسالتهم :

أ - صموئيل النبى فى حياته استشير فى موضوع الأتن الضائعة (١صم ٩) . وقيل « هوذا رجل الله فى هذه المدينة ، والرجل مكرم . كل ما يقوله يصير . لنذهب الآن إلى هناك لعله يخبرنا عن طريقنا التى نسلك فيها » (١صم ٩ - ٦) .

فإن كان رجل الله - وهو على الأرض - يكشف له الله الخفيات ... فكم بالأولى حينما يكون بالروح طليقة فى السماء ، مع الله ؟!؟

ب - لقد عرف أليشع - وهو على الأرض - بما فعله جيحزى فى الخفاء ، حين أخذ هدايا من نعمان السريانى (٢مل ٥ : ١٥ - ٢٧) .

ج - وقال عنه واحد من عبيد ملك آرام لسيده الملك « ... أليشع النبى الذى فى

اسرائيل، يخبر ملك اسرائيل بالأمور التى تتكلم بها فى مخدع مضعجك» (٢مل٦ : ١٢).

د ـ وقد عرف أليشع فى الخفاء أيضاً ـ فى وقت المجاعة ـ أن ملك اسرائيل قد أرسل رسولاً يقتله (٢مل٦ : ٣٢).

فإن كان اليشع ـ وهو فى الجسد ـ له هذه الموهبة التى يعرف بها أشياء فى الخفاء، فكم بالأولى تكون معرفته بعد خلع الجسد، وهو فى السماء.

هـ ـ بنفس الوضع عرف القديس بطرس الرسول بما فعله حنانيا وسفيرا فى الخفاء، وأعلن ذلك لهما وعاقبهما (أع ٥ : ٣، ٩).

و ـ كذلك عرف القديس بولس الرسول بأنه بعد ذهابه ستدخل بين أهل أفسس ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية (أع ٢٠ : ٢٩).

فإن كان الرسل يعرفون هذه المعرفة وهم على الأرض، فكم بالأولى سيكشف الله لهم فى السماء ؟!

إن هؤلاء القديسين لهم معرفة ولهم رسالة من أجل الناس. كما أن حياتهم التى كانت على الأرض، لم تنته بذهابهم إلى السماء. ونحن نطلب تدخلهم أكثر مما نطلب من الذين يجاهدون مثلنا على الأرض ولم يصلوا بعد...

* * *

٦ ـ أمثلة اخرى عن عظمة هؤلاء القديسين :

ا ـ إن كانت عظام أليشع النبى. قد استطاعت أن تعمل عملاً، وتكون بركة لقيام ميت، بمجرد الملامسة، بدون صلاة، وهى عظام لا روح فيها (٢مل١٣ : ٢١) فكم بالأكثر إذن تكون روح أليشع، ولاشك أنها أقوى من عظامه قدرة، ومعرفة، وحياة، ودالة عند الله! وكم تكون إذن أرواح أمثال اليشع من القديسين.

ب ـ إذا كانت المناديل والعصائب التى على جسد بولس الرسول لها بركة لشفاء المرضى واخراج الأرواح الشريرة (أع١٩ : ١٣) فكم بالأولى روح بولس الرسول وأرواح أمثاله من القديسين.

٧ - القديسون الذين انتقلوا، مازالوا أحياء :

وقد شرح الرب ذلك بقوله للصدوقيين «أما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب. ليس الله إله أموات بل إله أحياء» (متى ٢٢ : ٣١، ٣٢).

إذن هؤلاء القديسون لا يزالون أحياء. لماذا نعتبرهم موتى فلا نطلب صلواتهم ؟!

لا ننسى أيضاً ظهور موسى وإيليا مع الرب على جبل التجلي. موسى هذا الذي كان قد مات بالجسد منذ حوالي أربعة عشر قرناً، هو مايزال حياً مع الرب تماماً مثل ايليا الذي صعد إلى السماء. إن أرواحهم لم تمت بل هي في الفردوس وهي ترى أكثر مما نرى نحن.

* * *

٨ - أمثلة من شفاعة الملائكة :

نرى في سفر زكريا النبي مثالين لشفاعة الملائكة هما :

أ - شفاعة ملاك الرب في أورشليم، إذ صلى وقال «يارب الجنود إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي غضبت عليها هذه السبعين سنة» (زك ١ : ١٢).

فإن كان ملاك الرب بالأكثر يشفع هكذا في أورشليم حتى دون أن تطلب هذا منه، فكم بالأكثر إن طلبت صلواته ؟!

ب - شفاعة ملاك الرب في يهوشع الكاهن، ووقوفه ضد الشيطان الذي يقاومه وقوله له «لينتهرك الرب يا شيطان، لينتهرك الرب... أفليس هذا شعلة منتشلة من النار» (زك ٣ : ١، ٢).

ج - مثال آخر من سفر التكوين هو: حراسة الملاك لابينا يعقوب وتخليصه له. وقد تحدث عن هذا فقال عند مباركة أفرايم ومنسى «الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك الغلامين» (تك ٤٨ : ١٦).

د - لا ننسى أيضاً قول الكتاب عن الملائكة أنهم «أرواح خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عب ١ : ١٤). فإن كان لهم عمل من أجل البشر على الأرض، ألا يكون لهم نفس العمل في السماء ؟!

دالة القديسين عند الله

أ ـ إننا نطلب شفاعة القديسين من أجل الدالة العظيمة التى لهم عند الله . ومن أجل إمكانياتهم الواسعة بعد خروجهم من الجسد ، وطاقاتهم الروحية الأكثر قدرة . ومن أجل محبة الله لهم وتكليفه لهم بأعمال رحمة وخدمة للبشر ، ومن أجل معرفتهم وهم خارج الجسد بشكل أوسع بكثيرمن معرفتهم وهم فى الجسد .

ب ـ ونحن نذكر فى هذه الدالة للقديسين كيف أن **الله كان أحياناً يتسمى باسمائهم** ، فيقول « أنا إله ابراهيم وإله اسحق وإلهيعقوب » (خر٣ : ٦) .

ج ـ ولهذا فإن الآباء والأنبياء كانوا يذكرون الرب بقديسيه ، حتى يحن قلبه ويشفق ، بمجرد سماع أسمائهم وتذكر عهوده لهم . وهكذا فإن موسى النبى حينما شفع فى الشعب حتى لا يفنى ، قال للرب « **اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل** عبيدك ، الذين حلفت لهم بنفسك ، وقلت لهم أكثّر نسلكم كنجوم السماء » (خر٣٢ : ١٣) .

د ـ ونحن نتذكر أنه لما حدث أن حزائيل ملك آرام ضايق اسرائيل ، يقول الكتاب « فحن الرب عليهم ورحمهم ، والتفت إليهم ، **لأجل عهده مع ابراهيم واسحق ويعقوب** . ولم يشأ أن يستأصلهم وأن يطرحهم عن وجهه » (٢مل١٣ : ٢٢- ٢٣) .

هـ ـ وفى دالة القديسين عند الله ، نضرب مثلاً لذلك بتوبيخ الله لهرون ومريم لما تكلما على موسى النبى . فنزل الرب فى عمود السحاب ، وقال لهرون ومريم أمام موسى : إن كان منكم نبى للرب ، فبالرؤيا استعلن له ، فى الحلم أكلمه . وأما عبدى موسى فليس هكذا ، بل هو أمين فى كل بيتى . فماً إلى فم وعياناً أتكلم معه ، لا بالألغاز . وشبه الرب يعاين . فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى » (عدد١٢ : ٥- ٨) .

و ـ ومن أمثلة هذه الدالة ، قول الرب لرسله « الذى يسمع منكم ، يسمع منى . والذى يرذلكم يرذلنى » (لو١٠ : ١٦) وقوله أيضاً « إن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب » (يو١٢ : ٢٦) .

١٠ ـ اعتراضات . والإجابة عليها :

أ ـ يقول إننا فى التشفع بالقديسين نتوجه إليهم بالصلاة .

ونحن نقول إننا لا نصلى للقديسين ، وإنما نطلب صلواتهم ، ونطلب معونتهم لنا . حديثنا إلى العذراء ليس هو صلوات موجهة إليها ، إنما هى مخاطبة بنين لأمهم ، نوع من المناجاة وليس من الصلاة ، راجين منها أن تشفع فينا ، وهى الملكة القائمة عن يمين الملك .

ب ـ يقولون إن الشفاعة هى نوع من البساطة :

فنقول : وماذا فى ذلك ؟ مادام الله نفسه قد قبل هذه الوساطة ، بل وطلبها بنفسه ، حينما طلب من ابيمالك أن يصلى ابراهيم لأجله لئلا يهلك (تك ٢٠ : ٧) ، وحينما طلب من أصحاب أيوب أن يصلى أيوب لأجلهم لئلا يصنع معهم حسب حماقاتهم (أى ٤٢ : ٨) . وكذلك حينما سمح لابراهيم أن يشفع فى سدوم (تك ١٨) ، وسمح لموسى أن يشفع فى الشعب (خر ٣٢) وسمع لكليهما وقبل شفاعتهما .

روحانية التشفع بالقديسين

أ ـ الشفاعة بالقديسين تحمل معنى الإيمان بالحياة الأخرى ، الإيمان بأن الذين انتقلوا مازالوا أحياء ، ولهم عمل . إنه إيمان بالصلة الدائمة بين السماء والأرض . وإيمان أيضاً باكرام القديسين ، مادام الله نفسه يكرمهم .

ب ـ الشفاعة هى شركة حب بين أعضاء الجسد الواحد ...

الكنيسة هى جسد واحد ، المسيح رأسه وكلنا أعضاؤه سواء فى السماء أو على الأرض . والحب والصلوات والشركة ، أمور متبادلة بين أعضاء الجسد الواحد : نحن نشفع فيهم بصلواتنا عن الراقدين . وهم يشفعون فينا بصلواتهم أيضاً . إنها رابطة لا تنفصم .

لماذا يريد منكرو الشفاعة تحطيم هذه الشركة ؟ فلا صلاة منا لأجل الراقدين ، ولا شفاعة من الراقدين فينا ؟

هل المحبة القائمة بين كل مؤمن والله الآب ، تمنع وجود المحبة والصلة بين الأبناء وبعضهم البعض ؟!

أليس السيد المسيح قد طلب من الآب قائلاً « ليكونوا واحداً كما نحن » « ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » « أنا فيهم ، وأنت فيّ ، ليكونوا مكملين إلى واحد » (يو ١٧).

* * *

ج ـ الشفاعة فائدة ، من ينكرها يخسرها ... بلا مقابل :

الذين يؤمنون بالشفاعة ، ينتفعون برابطة الحب التى بينهم وبين القديسين ، وينتفعون بمجرد الصلة التى بينهم وبين أرواح المنتقلين . ويضيفون إلى صلواتهم الخاصة صلوات أقوى وأعمق ، صادرة لأجلهم ، من العالم الآخر ... وفى كل ذلك لا يخسرون شيئاً .

أما منكرو الشفاعة ، فإنهم يخسرون هذه الصلة وهذه الصلوات بلا مقابل ... بل يخسرون إيماناً بسيطاً غير معقد ، نلاحظه فى كل من يحتفلون بأعياد القديسين ، ومن يزورون كنائسهم ، ومن يطلبون صلواتهم ...

بأى وجه سيقابلون القديسين فى العالم الآخر ، وقد رفضوا اكرامهم ورفضوا صلواتهم وشفاعتهم ؟!

* * *

د ـ والشفاعة تحمل فى طياتها تواضع القلب ...

فالذى يطلب الشفاعة ، هو إنسان متضع ، غير مغرور بصلته الشخصية بالله ، يأخذ موقف الخاطىء الضعيف الذى يطلب شفاعة غيره فيه .

وعلى العكس فمنكر الشفاعة ، قد يسأل فى انتفاخ :

وما الفرق بينى وبين هؤلاء القديسين ؟ إن الصلة بينى وبين الله ، أقوى من أن تحتاج إلى وساطتهم !! (واضعاً نفسه فى مصاف القديسين والشهداء والملائكة) .

يخجل هؤلاء قول بولس الرسول « صلوا لأجلنا » (عب ١٣ : ١٨) ، ولأجل جميع القديسين (أف ٦ : ٨) .

هـ ـ الشفاعة دليل على عدل الله فى مبدأ تكافؤ الفرص ...

إن كان الله قد سمح للشيطان أن يحارب أولاد الله، ويجربهم ويظهر لهم فى رؤى وفى أحلام كاذبة، ويضايقهم. فبالأولى يقتضى العدل ومبدأ تكافؤ الفرص أن يسمح للملائكة وللأرواح الخيرة، أن يساعدوا أولاده على الأرض، كما سمح للأرواح الشريرة أن تضايقهم. وبهذا يظهر العدل من جهة تدخل العالم الآخر (الأرواح) فى حياة البشر.

وإن كان الله قد سمح للشيطان أن يضرب أيوب، فليسمح أيضاً للملائكة أن تعصب ضربات البشر، وأن تخدم أولاده، حتى بدون طلبهم، فكم بالأولى إن طلبوا ... «أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة، مرسلة للخدمة، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص»! (عب ١ : ١٤).

فمادام هؤلاء مرسلين لهذا الغرض، فلا مانع إذن من أن نطلب تدخلهم لمساعدتنا، وهم قريبون منا.

* * *

١٢ ـ الشفاعة واقع نعيش فيه :

شفاعة القديسين ـ بالنسبة إلينا ـ ليست مجرد بحث لاهوتى تثبته آيات من الكتاب المقدس، إنما هو واقع عملى نعيشه.

إنه تاريخ حى على مدى الأجيال، يروى الرابطة العجيبة التى بين المنتقلين ومن يحيون على الأرض. إنه صلة حية بالقديسين الذين يشفقون على أوضاعنا أكثر منا، وباشفاق حقيقى. حتى أن كثير من مشاكلنا تحل أحياناً دون أن نصلى، من أجل تشفعات القديسين فينا، دون أن نطلب ذلك.

إنهم أكثر منا فهماً وتطبيقاً لتلك الآية التى تقول «بكاءً مع الباكين، وفرحاً مع الفرحين» (رو١٢ : ١٥).

إن الشفاعة دليل على الرابطة بين أعضاء الكنيسة الذين على الأرض والذين فى السماء ـ إنها كنيسة واحدة ـ جزء منها على الأرض (نسميه الكنيسة المجاهدة) وجزء

منها في السماء (نسميه الكنيسة المنتصرة). وهما يتبادلان الصلاة.

والذين يرفضون شفاعة القديسين، كأنما هم يتجاهلون المعجزات العجيبة التى يشهد الناس بحدوثها لهم، بصلوات القديسين، أو فى أعيادهم، أو فى كنائسهم وأديرتهم.

إنها محاولة لالغاء الواقع والتاريخ، وليست مجرد إنحرافات فى التفكير النظرى اللاهوتي.

يكفى أن نذكر هنا المعجزات التى حدثت فى ظهور العذراء فى الزيتون، سواء للمسيحيين أو للمسلمين، وسجلت بأصوات الناس أو بكتاباتهم ... وكذلك المعجزات التى تحدث باسم مارجرجس والملاك ميخائيل و باقى القديسين.

كل هذا لا يكفى عند البروتستانتية التى ترفض صلوات القديسين وترفض شفاعاتهم، وترفض معجزاتهم لغير ما سبب ...

اقرأوا أيضاً سير القديسين، لكى تروا تدخلات الملائكة والقديسين فى حياة الناس:

ظهوراتهم، وتنبؤاتهم، ووعودهم، وتبشيراتهم، سواء بميلاد قديس من أم عاقر، أو باختيار قديس لخدمة الله، أو لإرشاده فى طريق ما ...

والموضوع بالنسبة إلى الشعب وصلتهم بالقديسين، ليس هو معرفة يوم وليلة، إنما هى عشرة زمن طويل، وعلاقة لا نستطيع أن نفصلها أبداً. إنها صداقة بين الشعب عامة، والملائكة والقديسين.

ولذلك فإن إدعاءات البروتستانت ضد القديسين، لا تجد لها مجالاً إطلاقاً. لأنها تتحدى اعتقادات ومشاعر تجرى فى دم الناس.



الصورة الطقسية التى تعطى معانى عقيدية هامة منها :

١ ـ العذراء مع المسيح . فأهميتها العقيدية أنها والدة الإله .

٢ ـ تلبس تاجاً ، كملكة ، كما يلبس المسيح تاجاً كملك الملوك .

٣ ـ هى عن يمين المسيح . كما قيل فى المزمور «قامت الملكة عن يمينك أيها الملك» (مز ٤٥) .

٤ ـ النجوم والملائكة فى الصورة ، باعتبار العذراء السماء الثانية .

٥ ـ هالة النور فوق رأسها كقديسة (مت ٥ : ١٤) وكذلك فوق رأس المسيح


الفصل الخامس
إكرام العذراء ودوام بتوليتها

١ ـ البروتستانت لا يكرمون السيدة العذراء ، ولا يطلبون شفاعتها وربما كرد فعل لمبالغة الكاثوليك فى إكرامها ، يبالغون هم أيضاً فى عدم إكرامها ، حتى ليقول بعضهم أنها مثل قشرة البيضة لا قيمة لها بعد خروج الكائن الحى منها . وهم طبعاً لا يحتفلون بأى عيد من أعيادها .

٢ ـ وتجرأ البعض فقال أنها أختنا ...

٣ ـ وبالاضافة إلى هذا يقولون إنها بعد ميلاد السيد المسيح عاشت مع يوسف النجار كزوجة وانجبت منه أولاداً تسموا «اخوة يسوع» أو «أخوة الرب» .

٤ ـ وهم أيضاً يهاجمون بعض القاب تلقبها بها الكنيسة .

٥ ـ ومن مظاهر عدم إكرامهم لها ، أنهم بدلاً من تلقيبها بالممتلئة نعمة كما بشرها الملاك ، يغيرون الترجمة إلى «المنعم عليها» .

٦ ـ كذلك كثيراً ما يستخدمون لقب «أم يسوع» بدلاً من لقب والدة الإله «ثيئوطوكوس» .

اكرام السيدة العذراء

يكفى قولها الذى سجله الإنجيل «هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى» (لو١: ٤٨) . وعبارة «جميع الأجيال» تعنى أن تطويب العذراء هو عقيدة هامة استمرت من الميلاد وستبقى إلى آخر الزمان .

ولعل من عبارات اكرام العذراء التى سجلها الكتاب أيضاً قول القديسة اليصابات لها (وهى شيخة فى عمر أمها تقريباً) : «من أين لى هذا ، أن تأتى أم ربى إلىَّ . هوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ، ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى» (لو١: ٤٤) . والعجيب هنا فى عظمة العذراء ، أنه لما سمعت اليصابات سلام مريم...

امتلأت اليصابات من الروح القدس (لو١ : ٤١)... مجرد سماعها صوت القديسة العذراء، جعلها تمتلىء من الروح القدس.

***

والعذراء لم تنل الكرامة فقط من البشر، وإنما أيضاً من الملائكة. وهذا واضح فى تحية الملاك جبرائيل لها بقوله «السلام لك أيتها الممتلئة نعمة. الرب معك. مباركة أنت فى النساء» (لو١ : ٢٨). وعبارة «مباركة أنت فى النساء» تكررت أيضاً فى تحية القديسة اليصابات لها (لو١ : ٤٣).

ونلاحظ أن أسلوب مخاطبة الملاك للعذراء فيه تبجيل أكثر بكثير من أسلوبه فى مخاطبة زكريا الكاهن (لو١ : ١٣).

***

وهنا نبوءات كثيرة فى الكتاب تنطبق على السيدة العذراء، ومنها «قامت الملكة عن يمينك أيها الملك» (مز٤٥ : ٩). وفى نفس المزمور يقول عنها الوحى الإلهى «كل مجد ابنة الملك من داخل» (مز٤٥ : ١٣). فهى إذن ملكة وابنة الملك... ولذلك فإن الكنيسة القبطية فى أيقوناتها الخاصة بالعذراء، تصورها كملكة متوجة، وتجعل مكانها باستمرار عن يمين السيد المسيح له المجد.

والكنيسة تمدح العذراء فى ألحانها قائلة «نساء كثيرات نلن كرامات. ولم تنل مثلك واحدة منهن». وهذه العبارة مأخوذة من الكتاب «أم ٣١ : ٢٩».

***

والسيدة العذراء هى شهوة الأجيال كلها، فهى التى استطاع نسلها أن «يسحق رأس الحية» محققاً أول وعد لله بالخلاص (تك٣ : ١٥).

والعذراء من حيث هى أم المسيح، يمكن أن أمومتها تنطبق على كل ألقاب السيد المسيح.

فالمسيح هو النور الحقيقى (يو١ : ٩) وهو الذى قال عن نفسه «أنا هو نور العالم» (يو٨ : ١٢). إذن تكون أمه العذراء هى أم النور. أو هى أم النور الحقيقى.

ومادام المسيح قدوساً (لو ١ : ٣٥) تكون هى القدوس.

ومادام هو المخلص ، حسبما قيل للرعاة «ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب» (لو٢ : ١١) . وحسب اسمه «يسوع» أى مخلص ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (متى١ : ٢١) . إذن تكون العذراء هى أم المخلص .

ومادام المسيح هو الله (يو١ : ١) (رو٩ : ٥) (يو٢٠ : ٢٨) . إذن تكون العذراء هى والدة الإله .

ومادام هو الرب ، حسب قول اليصابات عن العذراء «أم ربى» (لو١ : ٤٣) ، إذن تكون العذراء هى أم الرب . وبنفس القياس هى أم عمانوئيل (متى١ : ٢٣) وهى أم الكلمة المتجسد (يو١ : ١٤) .

★★★

وإن كانت العذراء هى أم المسيح ، فمن باب أولى تكون أماً روحية لجميع المسيحيين . ويكفى أن السيد المسيح وهو على الصليب ، قال عن العذراء للقديس يوحنا الرسول الحبيب «هذه أمك» (يو١٩ : ٢٧) . فإن كانت أماً لهذا الرسول الذى يخاطبنا بقوله يا أولادى (١يو٢ : ١) فبالتالى تكون العذراء هى أم لنا جميعاً . وتكون عبارة (أختنا) لا تستحق الرد . فمن غير المعقول ولا المقبول أن تكون أماً للمسيح وأختاً لأحد ابنائه المؤمنين باسمه..!

★★★

إن من يكرم أم المسيح ، إنما يكرم المسيح نفسه . وإن كان اكرام الأم هو أول وصية بوعد (أف٦ : ٢) (خر٢٠ : ١٢) (تث٥ : ١٦) ، أفلا نكرم العذراء أمنا وأم المسيح وأم أبائنا الرسل؟! . هذه التى قال لها الملاك «الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك . لذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو١ : ٣٥) . هذه التى طوبتها القديسة اليصابات بقولها «طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب» (لو١ : ٤٥) والتى جميع الأجيال تطوبها...

★★★

وعبارة «مباركة أنت فى النساء» التى قيلت لها من الملاك جبرائيل ومن القديسة اليصابات ، تعنى أنها إذا قورنت بكل نساء العالم ، تكون هى المباركة فيهم ، لأنه لم تنل واحدة منهن مجداً مثل الذى نالته العذراء فى التجسد الإلهى .

ولاشك أن الله قد اختارها من بين كل نساء العالم، لصفات فيها لم تكن تتوافر فى واحدة منهن .

ومن هنا يظهر علو مكانتها وارتفاعها . لذلك لقبها اشعياء النبى بلقب « سحابة » أثناء مجيئها إلى مصر (اش ١٩ : ١) .

***

ألقـابهـا

ومن حيث سكنى الله فى العذراء، فى التجسد، تسميها الكنيسة بالسماء الثانية . وتشبهها بخيمة الاجتماع (القبة) أو قبة موسى .

ومن حيث سكنى الله فيها ، تسميها الكنيسة « مدينة الله » أو صهيون كما قيل فى المزمور «صهيون الأم تقول أن إنساناً وإنساناً صار فيها . وهو العلى الذى أسسها إلى الأبد» « أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله » (مز ٨٧) .

ولما كان السيد المسيح قد شبه نفسه بالمن باعتباره الخبز الحى النازل من السماء (يو٦ : ٥٨) . لذلك فالكنيسة تلقبها بقسط المن .

وكذلك من حيث بتوليتها تلقبها بعصا هارون التى افرخت (عدد ١٧) .

وقد شبهت العذراء بالمنارة الذهبية (خر٢٥ : ٣١- ٤٠)، لأنها تحمل المسيح الذى هو النور الحقيقى .

وشبهت أيضاً بتابوت العهد (خر٢٥ : ١٠- ٢٢)، الذى هو مغشى بالذهب من الداخل والخارج رمزاً لنقاوة العذراء وعلو قيمتها . ولأنه من خشب السنط الذى لا يسوس رمزاً أيضاً لطهارة العذراء . ولأن فى هذا التابوت المن الذى يرمز للمسيح باعتباره الخبز الحى النازل من السماء (يو٦ : ٥٨)، ولوحا الشريعة اللذان يرمزان إليه باعتباره كلمة الله (يو١ : ١) .

شبهت العذراء أيضاً بسلم يعقوب التى كانت منصوبة على الأرض، وواصلة إلى السماء . والعذراء أيضاً كانت تمثل هذه الصلة بين السماء والأرض، فى ميلاد

المسيح . فكانت هى الأرض التى حلت فيها السماء ، أو كانت وهى على الأرض تحمل السماء داخلها . (أنظر تك ٢٨ : ١٢) عن سلم يعقوب .

والعليقة التى رآها موسى ، والنار تشتعل فيها دون أن تحترق (خر ٣) ، ترمز إلى السيدة العذراء التى حل فيها الروح القدس بنار اللاهوت ، دون أن تحترق .

وإن كان اتحاد اللاهوت بالناسوت فى السيد المسيح ، يشبه باتحاد الفحم بالنار ، فإن مريم التى كانت تحوى داخلها هذا الاتحاد ، تشبه بالمجمرة . و يدعونها المجمرة الذهب لعلو مكانتها ، أو يدعونها مجمرة هارون أو الشوريا

والكنيسة تلقب العذراء أيضاً بالحمامة الحسنة ، إذ تشبه بالحمامة فى بساطتها ، وفى حلول الروح القدس فيها . والروح ظهر بشكل حمامة (متى ٣ : ١٦) . كما تشبه بحمامة نوح التى حملت إليه بشرى الخلاص ورجوع الحياة إلى الأرض (تك ٨ : ١٠ ، ١١) .

ما أكثر التشبيهات والرموز التى تشير إلى العذراء فى الكتاب المقدس وفى طقوس الكنيسة ، يعوزنا الوقت أن نسردها جميعاً . وكلها تعتمد على نص كتابى . بل أنها تشبه بالكنيسة . و بعض النبوءات تطبق على العذراء وعلى الكنيسة فى نفس الوقت .

***

المهم أن الكنيسة تكرم العذراء لحلول الروح القدس عليها ولأنها والدة الإله ولأنها بتول دائمة البتولية ، ولقداستها وشهادة الكتاب عنها ، ولأن الرب نفسه قد أكرمها . كما تكرمها الكنيسة كذلك من أجل معجزاتها وظهوراتها المقدسة .

وهذا التكريم يظهر فى طقوس الكنيسة وتسابيحها وألحانها ، وفى التشفع بالعذراء وذكرها فى صلواتنا ، كما يظهر فى الاحتفال بأعياد كثيرة لها . وفى تقديس أحد أصوامنا على اسمها .





١ ـ عيد نياحتها (٢١ طوبة) . و يوم ٢١ من كل شهر قبطى .

٢ ـ عيد ميلادها (أول بشنس) .

٣ ـ البشارة بميلادها (٧ مسرى) .

٤ ـ دخولها الهيكل (٣ كيهك) .

٥ ـ دخولها أرض مصر (٢٤ بشنس) .

٦ ـ صعود جسدها (١٦ مسرى) .

٧ ـ بناء كنيسة فيلبى باسمها (٢١ بؤونة) .

٨ ـ عيد ظهورها فى الزيتون (٢ ابريل) وقد أضافت الكنيسة هذا العيد أخيراً .



١ ـ كيف يمكن أن ندعو العذراء بالكرمة فى صلاة الساعة الثالثة ، ونقول « يا والدة الإله ، أنت هى الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة » ، بينما السيد المسيح هو الكرمة . وقد قال بوضوح «أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام... أنا الكرمة وأنتم الأغصان (يو١٥ : ١، ٥) .

٢ ـ كيف تدعو العذراء فى صلاة نصف الليل (الهجعة الثالثة) قائلين لها « يا باب الحياة العقلى » بينما الباب هو المسيح . وهو الذى قال عن نفسه « أنا باب الخراف » (يو١٠ : ٧) .



العذراء هى الكرمة

تلقيب العذراء بالكرمة لا يتعارض مع لقب السيد المسيح اطلاقاً .

فهو الكرمة بمعنى ، وهى الكرمة بمعنى آخر. هو الكرمة حينما نكون نحن الأغصان ، أى أنه الأصل ، ونحن كلنا منه . هو الرأس ونحن الأعضاء .

أما العذراء فهى ـ حسب مدائح الكنيسة ـ التى « وجد فيها عنقود الحياة، ابن الله بالحقيقة » هى الكرمة التى لم تشخ ولم يفلحها أحد ما » .

ونحب أن نسجل ملاحظة هامة وهى :

السيد المسيح كثيراً ما يمنحنا بعض القابه :

١ - فهو يقول أنه هو الراعى (يو١٠ : ١١، ١٢). وهذا اللقب يطلقه داود فى مزاميره على الرب «الرب لى راع» (مز٢٢ : ١). و يلقب به الرب فى سفر حزقيال (خر٣٤ : ١٥).

ومع ذلك فإن الرب يقيم بعض أولاده رعاة، مع اهتمامه بأن تكون الكنيسة كلها «رعية واحدة لراع واحد» (يو١٠ : ١٦). فيقول لبطرس الرسول ارع غنمى... ارع خرافى» (يو٢١ : ١٥، ١٦) وفى العهد القديم يقول الرب «وأعطيكم رعاة حسب قلبى» (أر٣ : ١٥). وقد أصبح لقب الراعى خاصاً بالأساقفة خلفاء الرسل «ليرعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» (أع ٢٠ : ٢٨).

و يقول القديس بطرس «ارعوا رعية الله التى بينكم» (١بط ٥ : ٢).

٢ - السيد المسيح لقب نفسه بالنور، وقال «أنا هو نور العالم» (يو٨ : ١٢) (يو٩ : ٥). ومع ذلك يقول لتلاميذه «أنتم نور العالم» (متى ٥ : ١٤). «فليضىء نوركم هكذا قدام الناس» (متى ٥ : ١٦).

لاشك أنه نور بالمعنى المطلق. وهو نور، لأنهم يستمدون النور منه و بنوره يضيئون للآخرين. كذلك هو الراعى بالمعنى الكامل للكلمة. أما هم فرعاة باعتبارهم وكلاء لله، مفوضين منه لعمل الرعاية.

٣ - قيل عن السيد المسيح أنه هو الأسقف «هو راعى نفوسكم واسقفها» (١بط ٢ : ٢٥) ومع ذلك فإن خلفاء الرسل أقيموا من الروح القدس أساقفة (أع ٢٠ : ٢٨) (١تى ٣ : ٢) (فى ١ : ١) (تى ١ : ٧).

٤ - قيل عن السيد المسيح أنه هو الكاهن «كاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق (مز١١٠ : ٤) (عب ٥ : ٦). وما أكثر الآيات التى فى الكتاب المقدس عن الكاهن العظيم ورئيس الكهنة، وعن الكهنة الذين أعطاهم الرب كهنوتاً أبدياً فى أجيالهم (خر٤٠ : ١٥).

« كهنتك يلبسون البر » (مز ١٣٢ : ٩ ، ١٦) . وقد قدس الرب الكهنة (لا ٨ : ١٢) . وألبسهم ثياباً مقدسة للمجد والبهاء (خر ٢٨ : ٢) ، وفى العهد الجديد نرى القديس بولس يدعو نفسه كاهناً (رو ١٥ : ١٦) .

إن السيد المسيح كاهن بمعنى أنه قدم ذاته ذبيحة عنا . أما الكهنة من البشر فهم خدام ووكلاء السرائر الإلهية ، يقدمون ذبيحة السيد المسيح وما كان يرمز إليها قبلاً .

٥ ـ قيل عن السيد المسيح أنه ابن الله (١يو ٤ : ١٤) . وقيل عنا أيضاً أننا ابناء الله (١يو ٣ : ١) . ولكنه ابن من جوهر الله وطبيعته ولاهوته . أما نحن فابناء بالمحبة ، بالتبنى ... لذلك دعى السيد المسيح بالابن الوحيد (يو ٣ : ١٦) .

***

كذلك فى معنى الكرمة :

السيد المسيح هو الكرمة . وقد أطلق الكتاب على الكنيسة كلها لقب الكرمة فقد أنشد الرب عنها فى سفر اشعياء نشيد الكرمة (اش ٥ : ١ ـ ٧) . حيث يقول الرب احكموا بينى وبين كرمى . ماذا يصنع أيضاً لكرمى « وأنا لم أصنعه له » ويقول « كرم رب الجنود هو بيت اسرائيل » (اش ٥ : ٧) .

ونفس المعنى يتطبق على مثل (الكرم والكرامين) ، الذى قاله الرب (متى ٢١ : ٣٣ ـ ٤١) . وفى هذا المثل : الكرم هو الكنيسة ، والكرامون هم الرعاة ، وأما الله فهو صاحب الكرم .

ونحن نلقب الكنيسة بالكرمة ، مقتبسين نصاً من الوحى الإلهى فى المزامير فنقول للرب « ارجع واطلع من السماء . انظر وتعهد هذه الكرمة التى غرستها يمينك » (مز ٨٠ : ١٤ ، ١٥) .

فهل وصف الكنيسة بالكرمة ، تسلب فيه مجد الله ، بينما هذا هو اللقب الذى منحه لها المسيح . وهل تلقيب الشعب بالكرمة سلب لمجد الله ؟ بينما هو تعليم الكتاب نفسه ؟! أم هى مجرد رغبة فى مهاجمة الكنيسة التى يقول عنها الكتاب « غنوا للكرمة المشتهاة . أنا الرب حارسها . اسقيها فى كل لحظة » (أش ٢٧ : ٢ ، ٣) .

بل إن لقب الكرمة يطلق على كل أم مباركة كما يقول المزمور « امرأتك مثل كرمة مخصبة فى جوانب بيتك » (مز ١٢٨ : ٣) .

ليس غريباً أن تلقب العذراء القديسة بالكرمة .

العذراء باب الحياة

السيدة العذراء لقبها الكتاب المقدس بالباب . فقال عنها سفر حزقيال النبى أنها باب فى المشرق دخل منه رب المجد وخرج (حز٤٤ : ٢) .

فإن كان الرب هو الحياة ، تكون هى باب الحياة .

والرب قد أعلن أنه الحياة فى قوله «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤ : ٦) . «أنا هو القيامة والحياة» (يو١١ : ٢٥) فمادامت العذراء هى الباب الذى خرج منه المسيح ، إذن تكون هى باب الحياة .

وبنفس الطريقة تكون هى باب الخلاص «لأن الرب هو الخلاص . إذ قد جاء خلاصاً للعالم ، يخلص ما قد هلك» (لو١٩ : ١٠) .

وليس غريباً أن نلقب العذراء بالباب . فالكنيسة أيضاً لقبت بالباب منذ أقدم العصور . إذ قال أبونا يعقوب أبو الآباء عن المكان المقدس الذى دشنه كنيسة وعرف باسم بيت إيل ، أى بيت الله قال عنه «ما أرهب هذا المكان ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء» (تك٢٨ : ١٧) .



هل نصلى للعذراء



نحن لا نصلى للعذراء . ولكننا نكلمها أثناء صلاتنا ، نتوسل إليها أن تتشفع فينا . ونحن لا نخاطب العذراء فقط إنما نخاطب الملائكة ونخاطب الطبيعة ، ونخاطب

الناس ونخاطب أنفسنا ، ونخاطب حتى الشياطين ...

وكل هذا يعتمد على نصوص كتابية من الوحي الإلهي نفسه . وهذه المخاطبة لا تعتبر صلاة ... فلماذا أمنا العذراء بالذات لا نخاطبها .. ؟!

***

١ ـ إننا نخاطب الملائكة في صلواتنا فنقول « باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه » (مز١٠٣ : ٢٠ ، ٢١) « سبحوا الرب من السموات . سبحوه في الأعالي . سبحوه يا جميع ملائكته . سبحوه يا كل جنوده » (مز١٤٨ : ١ ، ٢) .

***

٢ ـ ونحن نخاطب الطبيعة في صلواتنا فنقول « سبحيه أيتها الشمس والقمر سبحيه يا جميع كواكب النور ، سبحيه يا سماء السموات ، ويا أيتها المياه التي فوق السموات . سبحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج النار والبرد ، الثلج والضباب . الريح العاصفة الصانعة كلمته . الجبال وكل الآكام ... » (مز١٤٨ : ٣ـ ٩) .

***

٣ ـ ونحن ننادي مدينة الله المقدسة أن تسبح الله . فنقول « سبحي الرب يا أورشليم . سبحي إلهك يا صهيون . لأنه قوى مغاليق أبوابك ، وبارك بنيك فيك » (مز١٤٧ : ١٢ ، ١٣) .

ونقول في مزمور آخر « أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله » (مز٨٧ : ٣) . والبعض يفسر هذا الكلام أنه موجه للعذراء ...

***

٤ ـ ونحن في صلواتنا نخاطب الناس فنقول « يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم . هللوا للرب يا كل الأرض » (مز٤٦ : ١) « هلموا وانظروا أعمال الرب التي جعلها آيات على الأرض » (مز٤٥) « لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم ، حيث لا خلاص عنده » (مز١٤٦ : ٣) « باركوا الرب يا جميع أعماله في كل مواضع سلطانه » (مز١٠٣ : ٢٢) . ونقول في مزمور آخر « سبحوا الرب أيها الفتيان . سبحوا اسم

الرب » (مز ١١٢ : ١). ونقول أيضاً : قدموا للرب يا أبناء الله، قدموا للرب أبناء الكباش. قدموا للرب مجداً وكرامة. قدموا للرب مجداً لاسمه. اسجدوا للرب فى دار قدسه » (مز ٢٨ : ١ - ٣).

***

٥ - والإنسان فى صلواته أيضاً يخاطب نفسه فيقول « باركي يا نفسي الرب وكل ما فى باطني ليبارك اسمه القدوس، باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته. الذى يغفر جميع ذنوبك. الذى يشفى كل أمراضك. الذى يفدى من الحفرة حياتك... » (مز ١٠٣ : ١ - ٥). ونقول فى مزمور آخر « لماذا أنت حزينة يا نفسي ؟ ولماذا تزعجينني. توكلي على الله » (مز ٤٢ : ٥).

وفى قطع صلاة الليل، يخاطب المصلى نفسه ويقول « توبي يا نفسي مادمت فى الأرض ساكنة ».

***

٦ - بل نحن فى صلواتنا نلتفت إلى الشياطين وكل قواتهم ونخاطبهم. فيقول المصلى « ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم. فإن الرب قد سمع صوت بكائي... فليخز وليضطرب جداً جميع أعدائي. وليرتدوا إلى ورائهم بالخزى سريعاً - هلليلويا » (مز ٦).

***

فهل نحن نصلى لكل هؤلاء ؟ هل نحن نصلى للملائكة وللطبيعة وللناس ولأنفسنا وللشياطين. حاشا... إنما نحن نخاطبهم أثناء صلاتنا. وهذا أمر مقبول، وتعليم كتابي. ومن روح المزامير التى قال عنها بولس الرسول « متى اجتمعتم، فكل واحد له مزمور » (١ كو ١٤ : ٢٦)، « مكملين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب » (أف ٥ : ١٩) « معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية.. » (كو ٣ : ١٦).

مادمنا نخاطب كل هؤلاء فى صلواتنا - حسب تعليم الوحي الإلهي، فليس خطأ إذن أن نخاطب أمنا العذراء أثناء الصلاة، ولا تعتبر هذه المخاطبة صلاة...

دوام بتولية العذراء

موضوع دوام بتولية العذراء موضوع قديم جداً ، تحدث عنه آباء الكنيسة منذ القرنين الثاني والثالث للميلاد ، وكذلك تحدث عنه آباء القرنين الرابع ، والخامس .
وقد سبق فى ١٩٦٢ أن ترجمنا مقالاً للقديس إيرونيئوس (جيروم) دافع فيه عن دوام بتولية العذراء ضد رجل يسمى هلفيديوس سنة ٣٨٣م . وكل الآراء التى يعتمد عليها البروتستانت حالياً لا تخرج عن آراء هلفيديوس هذا .

ملخص آراء مهاجمى دوام بتولية العذراء :

١ - عبارة «ابنها البكر» (لو٢ : ٧) (متى ١ : ٢٥) معتمدين أن البكر معناه الأول وسط اخوته .

٢ - عبارة (امرأتك) التى قيلت ليوسف عن العذراء (متى ١ : ٢٠) . وكلمة امرأة عموماً متى اطلقت على العذراء (متى ١ : ٢٤) .

٣ - عبارة «لم يعرفها حتى ولدت ... » وكذلك «قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس» (متى ١ : ١٨) .

٤ - الآيات التى وردت فيها عبارة «اخوته» عن السيد المسيح مثل (متى ١٢ : ٤٦) (يو٢ : ١٢) و(متى ١٣ : ٥٤ - ٥٦) (مر٦ : ١ - ٣) (أع ١ : ١٤) (غل ١ : ١٨ ، ١٩) .

وبمعونة الله سنرد فى الصفحات المقبلة على كل هذه الاعتراضات .

ابنها البكر

الابن البكر ، هو الابن المولود أولاً ، حسب ترجمة هذه الكلمة بالإنجليزية **First born** والكتاب المقدس أوضح فى تعريف معنى البكر، إذ يقول الوحى الإلهى، قبل تأسيس الكهنوت الهارونى «قدس لى كل بكر، كل فاتح رحم من الناس، ومن البهائم إنه لى» (خر١٣: ٢).

فكان كل فاتح رحم ، يصير مقدساً للرب ، مخصصاً للرب ، سواء ولد بعده ابن آخر أو لم يولد . ولا ينتظر أبواه إن كان إنساناً أو مالكوه إن كان من البهائم حتى يولد له اخوة (يصير بهم بكراً !!) ثم يخصصونه للرب .

إنما من مولده يصير قدساً للرب ، لا لأنه كبير اخوته ، إنما لأنه فاتح رحم . وهكذا يمكن جداً أن يكون الابن البكر هو الابن الوحيد .

***

وهكذا كان السيد المسيح : هو الابن البكر، وهو الابن الوحيد وقد صدق القديس جيروم حينما قال «كل ابن وحيد هو ابن بكر. ولكن ليس كل ابن بكر هو ابن وحيد . إن تعبير البكر لا يشير إلى شخص ولد بعده آخرون . ولكن إلى واحد ليس له من يسبقه ...

***

ولذلك فإن بكر الحيوانات النجسة كان يقبل فداؤه، من ابن شهر (عدد ١٨: ١٦، ١٧). وبكر الحيوانات الطاهرة كان يقدم ذبيحة للرب . وما كانوا ينتظرون حتى يولد ابناء بعده . إنه بكر حتى لو لم يولد بعده، لأنه فاتح رحم .

وهكذا فإن السيد المسيح - كابن بكر للعذراء - قدموا عنه ذبيحة للرب فى يوم الأربعين (يوم تطهير العذراء بعد ولادتها) وفى هذا يقول الكتاب عن السيدة العذراء «ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى، صعدوا به إلى أورشليم ليقدموه للرب، كما هو مكتوب فى ناموس الرب «إن كل فاتح رحم يدعى قدساً للرب،

ولكى يقدموا ذبيحة كما قيل فى ناموس الرب زوج يمام أو فرخى حمام» (لو٢ : ٢٢-٢٤).

واضح أن السيد المسيح طبقت عليه شريعة البكر فى يوم الأربعين من مولده، وطبعاً لا علاقة هنا بين البكر وميلاد اخوة آخرين...

***

وهنا يسأل القديس جيروم : هل حينما ضرب الرب أبكار المصريين، ضرب فقط الأبكار الذين لهم أخوة، أم كل فاتحى الرحم سواء كان لهم أخوة أو لم يكن...

***

عبارة امرأتك

عبارة « امرأتك » تعنى زوجتك . وكانت تطلق على المرأة منذ خطوبتها . وفى تفسير قول الملاك ليوسف النجار «لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس» (متى ١ : ٢٠) يقول القديس يوحنا ذهبى الفم « هنا يدعو الخطيبة زوجة، كما تعود الكتاب أن يدعو المخطوبين أزواجاً حتى قبل الزواج . ويقول أيضاً « ماذا تعنى عبارة «تأخذ إليك» ؟ معناها أن تحفظها فى بيتك... كمن قد عهد بها إليك من الله وليس من أبويها . لأنه قد عهد بها إليك ليس للزواج، وإنما لتعيش معك، كما عهد بها المسيح نفسه فيما بعد إلى تلميذه يوحنا (تفسير متى : مقالة ٤ : ١١).

***

والقديس جيروم يقول أيضاً أن لقب (امرأة) أو زوجة كان يمنح أيضاً للمخطوبات . ويستدل على ذلك بقول الكتاب «إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فوجدها رجل فى المدينة واضطجع معها... ارجموها : الفتاة من أجل أنها لم تصرخ . والرجل من أجل أنه أذل إمرأة صاحبه (تث ٢٢ : ٢٣، ٢٤) (تث ٢٠ : ٧).

***

وهنا استخدم الكتاب كلمة امرأة عن العذراء المخطوبة وكلمة امرأة تدل على الأنوثة وليس على الزواج .

والواقع أن حواء سميت أولاً امرأة لأنها من امرىء أخذت (تك ٢ : ٢٣) وسميت حواء لأنها أم لكل حى (تك ٣ : ٢٠) .

فكلمة امرأة تدل على خلقها وأنوثتها . وكلمة حواء تدل على أمومتها

ودليل أن كلمة امرأة بالنسبة إلى العذراء كانت تدل على خطوبتها وليس زواجها ، قول القديس لوقا الإنجيلى «فصعد يوسف أيضاً من الجليل، ليكتتب مع امرأته المخطوبة وهى حبلى» (لو ٢ : ٤ ، ٥) . إذن عبارة «لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك» معناها خطيبتك...

★★★

فمريم دعيت امرأة ليس لأنها فقدت بتوليتها ، حاشا . فالكتاب يشهد أنه لم يعرفها . ولكن دعيت هكذا ، لأن هذا هو التعبير المألوف عند اليهود ، أن تدعى الخطيبة امرأة . بل الأنثى كانت تدعى امرأة . بدليل أن حواء عقب خلقها مباشرة دعيت امرأة ، قبل الخطية والطرد من الجنة والانجاب...

★★★

ونلاحظ أن الملاك لم يستخدم مع يوسف عبارة امرأتك بعد ميلاد المسيح . وإنما قال له «قم خذ الصبى وأمه» (متى ٢ : ١٣) . وفى عودته من مصر قال له «قم خذ الصبى وأمه» (متى ٢ : ٢٠) . وفعل يوسف هكذا فى السفر إلى مصر وفى الرجوع «قام وأخذ الصبى وأمه» (متى ٢ : ١٤ ، ٢١) . ولم يستخدم عبارة امرأته .

★★★

عبارة امرأته استخدمت قبل الحمل وأثناءه لكى تحفظ مريم فلا يرجمها اليهود إذ أنها قد حبلت وهى ليست امرأة لرجل . أما بعد ولادة المسيح ، فلم يستخدم الوحى الإلهى هذه العبارة ، لا بالنسبة إلى كلام الملاك مع يوسف ، ولا بالنسبة إلى ما فعله يوسف . ولا بالنسبة إلى المجوس الذين «رأوا الصبى مع مريم أمه» (متى ٢ : ١١) ولا بالنسبة إلى الرعاة الذين «وجدوا مريم و يوسف والطفل مضطجعاً» (متى ٢ : ١٦) .

★★★

قبل أن يجتمعا

هدف الإنجيلى هو إثبات أن المسيح قد حبل به من عذراء لم تعرف رجلاً لسببين :

١ ـ لاثبات أن المولود ، لم يولد ولادة طبيعية من أبوين كباقى الناس ، إنما ولادته من عذراء دليل على لاهوته ، إذ يكون قد ولد من الروح القدس . وهذا ما عبر عنه الملاك بقوله « لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس » (متى ١ : ٢٠) .

٢ ـ لأن ولادته من عذراء من غير زرع بشر ، تجعلنا نؤمن أنه لم يرث الخطية الجدية . وبهذا يكون قادراً على خلاصنا ، لأنه إذ هو بلا خطية يمكن أن يموت عن الخطاة .

لذلك كان تركيز الرسول هو على أن العذراء لم تجتمع برجل قبل ميلاد المسيح لاثبات ميلاده العذراوى . أما كونها بعد ميلاده لم تجتمع برجل فهذا أمر بديهى لا يحتاج إلى اثبات .

لم يعرفها حتى...

عبارة حتى ، أو (إلى أن) Until تنسحب على ما قبلها ، ولا تعنى عكسها فيما بعد .

ومثال ذلك قول الكتاب عن ميكال ابنة شاول الملك « ولم يكن لها ولد حتى ماتت » (٢صم ٦ : ٢٣) ، وطبعاً بعد أن ماتت لم يكن لها ولد... وقول السيد المسيح « ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ١٩) . وطبعاً بعد انقضاء الدهر (متى سيظل معنا ، وكذلك قول الرب للمسيح « اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك تحت قدميك » (مز ١١٠) . وطبعاً بعد هذا سيظل عن يمينه...

والأمثلة من هذا النوع كثيرة جداً ...

★★★

اذن كلمة حتى لا تعنى بالضرورة عكس ما بعدها .

فيوسف لم يعرف مريم حتى ولدت ابنها البكر . ولا بعد أن ولدته عرفها أيضاً . لأنه إن كان قد احتشم عن أن يمسها قبل ميلاد المسيح ، فكم بالأولى بعد ولادته ، وبعد أن رأى المعجزات والملائكة والمجوس وتحقق النبوءات وعلم يقيناً أنه مولود من الروح القدس ، وأنه ابن العلى يدعى ، وأنه القدوس وعمانوئيل والمخلص .

وأنه هو الذى تحققت فيه نبوءة اشعياء النبى القائل« وهوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل » (اش ٧ : ١٤) . وأيضاً « لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام . لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته » (اش ٩ : ٦ ، ٧) . ولعل هذا الجزء الأخير هو الذى اقتبسه الملاك فى بشارته للعذراء (لو ١ : ٣١- ٣٣) .

***

عبارة "اخوته"

عبارة أخ فى التعبير اليهودى قد تدل على القرابة الشديدة كما تدل على الأخ ابن الأب أو الأم أو كليهما . والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١ - ما قيل عن اخوة بين يعقوب وخاله لابان :

يقول الكتاب عن مقابلة يعقوب وراحيل « فكان لما أبصر يعقوب راحيل بن لابان خاله وغنم لابان خاله ، أن يعقوب تقدم ودحرج الحجر عن فم البئر . وسقى غنم لابان خاله . وقبل يعقوب راحيل ورفع صوته وبكى . واخبر يعقوب راحيل أنه اخو أبيها » (تك ٢٩ : ١٠- ١٢) . مع أن أباها هو خاله ، وقد تكررت عبارة خاله فى هذا النص مرات كثيرة .

وهنا استعملت كلمة أخ للدلالة على القرابة الشديدة .

وبنفس الأسلوب تكلم لابان مع يعقوب لما سأله عن اجرته ، إذ قال له « لأنك أخى تخدمنى مجاناً . أخبرنى ما أجرتك » (تك ٢٩ : ١٥) وهكذا قال لابان عن يعقوب أنه أخوه مع أنه ابن اخته .

٢ ـ مثال ابرام ولوط :

كان لوط ابن أخي ابرام (ابن هارون اخيه) (تك ١١ : ٣١) . ومع ذلك يقول الكتاب عن سبي لوط مع أهل سادوم «فلما سمع ابرام أن أخاه قد سبي ، جر رجاله المتمرنين ...» (تك ١٤ : ١٤) . فاعتبر أن لوطاً أخوه مع أنه ابن اخيه . ولكنها القرابة الشديدة .

***

وبنفس الأسلوب قيل « اخوة يسوع » عن أولاد خالته كما سنبين الآن :

من هم أخوة الرب :

لما ذهب السيد إلى وطنه تعجبوا قائلين : أليس هذا هو ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم؟ واخوته يعقوب و يوسى وسمعان و يهوذا ؟ أو ليست اخواته جميعهن عندنا ؟ » (متى ١٣ : ٥٤ـ ٥٦) (مر ٦ : ١ـ ٣) .

والقديس بولس الرسول يذكر أنه رأى «يعقوب أخا الرب» (غل ١ : ٩) . و يعقوب هذا يسمونه يعقوب الصغير (مر ١٥ : ٤٠) لتمييزه عن يعقوب بن زبدى . و يدعى أيضاً يعقوب ابن حلفى (متى ١٠ : ٣) وكان من الرسل كما ورد فى (غل ١ : ١٩) .

***

والقديس متى الرسول يذكر أنه عند صليب الرب «نسوة كثيرات كن هناك ، ينظرن من بعيد ، و بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب و يوسى ، وأم ابنى زبدى » (متى ٢٧ : ٥٥ ، ٥٦) .

فمن هى مريم أم يعقوب و يوسى هذه؟ هل هى مريم العذراء؟ وهل يعقل أن العذراء أنجبت كل هذه المجموعة الكبيرة من الأبناء ؟!

أنها مريم زوجة حلفى أو كلوبا ، التى قال عنها يوحنا الرسول « وكن واقفات عند صليب يسوع : أمه ، وأخت أمه : مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية » (يو ١٩ : ٢٥)ـ قارن مع (متى ٢٧ : ٥٥ ، ٥٦) .

مريم أم يعقوب و يوسى كانت مع مريم المجدلية عند صليب المسيح (متى ٢٧ : ٥٥ ، ٥٦) . وهما نفسهما : مريم المجدلية ومريم أم يعقوب و يوسى كانتا واقفتين

وقت الدفن «تنظران أين وضع» (مر١٥ : ٤٧). وهما أيضاً أحضرتا حنوطاً بعدما مضى السبت (مر١٦ : ١). وهما أيضاً كانتا واقفتين عند الصليب مع مريم أمه. وهما اللتان قصدهما يوحنا الإنجيلي بقوله «وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية.

إذن اخوة الرب يسوع هم أولاد خالته مريم زوجة كلوبا أو حلفى أم يعقوب ويوسى وباقى الاخوة.

أما عن الخلاف بين اسم حلفى واسم كلوبا، فإما أن يكون خلافاً فى النطق أو كما قال القديس جيروم: من عادة الكتاب أن يحمل الشخص الواحد أكثر من اسم فرعوئيل حمو موسى (خر٢ : ١٨). يدعى أيضاً يثرون (خر٤ : ١٨)، وجدعون يدعى يربعل (قض٦ : ٣٢). وبطرس دعى أيضاً سمعان وصفا، ويهوذا الغيور دعى تداوس (متى١٠ : ٣). واضح إذن أن مريم أم يعقوب ويوسى ليست هى مريم العذراء ولم يحدث مطلقاً أن الكتاب دعاها بهذا الإسم.

ملاحظات :

١ - من غير المعقول أن يكون لمريم أم المسيح كل هؤلاء الأبناء، ويعهد بها الرب على الصليب إلى يوحنا تلميذه. لاشك أن أولادها كانوا أولى بها لو كان لها أولاد...

٢ - نلاحظ فى أسفار يوسف ومريم فى الذهاب إلى مصر والرجوع منها، لم يذكر اسم أى ابن لمريم غير «يسوع» (متى ٢: ١٤، ٢٠، ٢١). وكذلك فى الرحلة إلى أورشليم وعمره ١٢ سنة (لو٢ : ٤٣).

٣ - وليس صحيحاً ما يقوله البعض أن (اخوة يسوع) هم أبناء ليوسف من امرأة أخرى ترمل بموتها. فالكتاب يذكر أن مريم أم يعقوب ويوسى كانت حاضرة صلب المسيح ودفنه كما ذكرنا (مر١٥: ٤٧).

٤ - وهناك نص كتابى واضح فى نبوءة حزقيال يؤيد دوام بتولية العذراء. لقد رأى حزقيال النبى باباً مغلقاً فى المشرق. وقيل له «هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان. لأن الرب إله اسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً» (حز٤٤ : ٢).

إنه رحم العذراء الذى دخل منه الرب، فظل مغلقاً لم يدخله ابن آخر لها.


الفصل السادس
الصوم

واضح أن الصوم لم يكن رمزاً ، إنما هو وصية قائمة فى العهد القديم ، كما هى قائمة فى العهد الجديد . والبروتستانت لا ينكرونه بصفة مطلقة ، إنما يلغونه تقريباً من الناحية العملية .

وهنا سوف لا أتكلم عن الصوم بصفة عامة ، وأهميته وفائدته ، وروحانياته فهذا كله يمكن قراءته فى كتابنا « روحانية الصوم » . إنما أريد أن أركز على نقط الخلاف بيننا وبين البروتستانت فى موضوع الصوم .

نقط الخلاف مع البروتستانت :

١ ـ يقول البروتستانت أن الصوم ينبغى أن يكون فى الخفاء ، بين الإنسان والله ، عملاً بوصية الرب فى العظة على الجبل (متى ٦ : ١٧ ، ١٨) .

٢ ـ ليست للبروتستانت أصوام ثابتة يصومها جميع المؤمنين ، فى مواعيد محددة لها ، وفى مناسبات خاصة بها . إنما الصوم عندهم ـ فى غالبيته ـ عمل فردى ، يصوم الفرد منهم متى شاء ، وكيف شاء ، ولا سلطان للكنيسة عليه فى هذا ، ولا تدخل لها فى صومه .

٣ ـ يعتمدون على فهم خاطىء للآية التى تقول « لا يحكم أحد عليكم فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت ، التى هى ظل الأمور العتيدة ، وأما الجسد فللمسيح (كو٢ : ١٦ ، ١٧) .

٤ ـ لا يوافقون فى الصوم على الطعام النباتى ، والامتناع عن الأطعمة الحيوانية ويتهموننا بأننا فى ذلك ينطبق علينا على الأقل الجزء الأخير من الآية التى تقول « فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان ... ما نعين عن الزواج ، وآمرين أن يمتنع عن أطعمة خلقها الله لتتناول بالشكر» (١تى ٤ : ١ ـ ٣) .

اعتراض الصوم فى الخفاء

الصوم فى الخفاء خاص بالعبادة الفردية وليس بالعبادة الجماعية . لأنه يوجد هذان النوعان من العبادة ...

أ ـ ففي الصلاة مثلاً : توجد الصلاة الفردية ، التى تصليها فى مخدعك ، ولأ بيك الذى يرى فى الخفاء . وهذا لا يمنع من وجود الصلاة الجماعية التى تصليها معاً كل جماعة المؤمنين بروح واحدة ونفس واحدة وصوت واحد . وأمثلتها كثيرة فى العهد الجديد . منها صلاة المؤمنين بعد اطلاق الرسولين بطرس و يوحنا من السجن « فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة ، صوتاً إلى الله وقالوا » (أع ٤ : ٢٤) .

طبعاً مثل هذه الصلاة لا تنطبق عليها وصية الرب الخاصة بالصلاة فى الخفاء (متى ٦ : ٦) .

ب ـ كذلك فى الصدقة : يوجد عطاء فى الخفاء كعمل فردى ، لا تجعل فيه شمالك تعرف ما تفعله يمينك (متى ٦ : ٣) . ولكن هذا لا يمنع العطاء العام الذى يجمع من الكل ، كما جمع داود النبى من أجل بناء الهيكل وذكر ما قدمه هو بالتفصيل ، وما قدمه رؤساء الآباء ، ورؤساء الأسباط ، ورؤساء الألوف والمئات ، ورؤساء أشغال الملك » (١أى ٢٩ : ٣- ٩).. ومثل هذا العطاء ما كان الناس يضعونه فى الخزانة ، كالتى وضعت فلسين فى الصندوق (لو٢١ : ١، ٢) .

ج ـ كذلك فى الصوم : يوجد الصوم الفردى فى الخفاء . وهذا لا يمنع الصوم العام ، لكى يشترك كل المؤمنين معاً فى صومهم . فهل الصوم الجماعى تعليم كتابى أم لا ؟

اعتراض الصوم الجماعى

هناك أمثلة كثيرة فى الكتاب عن الصوم الجماعى ، ومنها :

أ ـ صوم الشعب أيام استير :

الشعب كله صام معاً ، فى وقت واحد ، من أجل غرض واحد ، وبصلاة وطلبة واحدة إلى الله . وقبل الرب صومهم ، واستجاب لهم (اس ٤) .

ب ـ صوم أهل نينوى :

الكل صاموا معاً ، وليس فى الخفاء . وقبل الرب صومهم فغفر لهم خطاياهم (يون ٣) .

ج ـ صوم الشعب أيام عزرا ، ونحميا :

يقول نحميا «وفى اليوم الرابع والعشرين من هذا الشهر، اجتمع بنو اسرائيل بالصوم ، وعليهم مسح وتراب» (نح ٩ : ١) .

ويقول عزرا «وناديت بصوم على نهر أهوا ، لكى نتذلل أمام إلهنا ، لنطلب منه طريقاً مستقيمة ، لنا ولأطفالنا ولكل ما لنا» (عز٨ : ٢١) .

د ـ الصوم أيام يوئيل :

ورد فيه «الآن ـ يقول الرب ـ ارجعوا إلىّ بكل قلوبكم ـ وبالصوم والبكاء والنوح» ... «قدسوا صوماً نادوا باعتكاف . اجمعوا الشعب ، قدسوا الجماعة ليخرج العريس من مخدعه ، والعروس من حجلتها ...» (يوئيل ٢ : ١٢ـ ١٧) .

هـ ـ وفى العهد الجديد : صوم الرسل :

لما سئل السيد المسيح لماذا لا يصوم تلاميذه؟ أجاب بأنه «حين يرفع عنهم العريس ، حينئذ يصومون» (متى ٩ : ١٥) . وقد صاموا فعلاً ، معاً وليس فى الخفاء . وقبل الله صومهم . ومن أمثلة صوم الآباء الرسل ، قول الكتاب «وفيما هم يخدمون الرب ويصومون ، قال الروح القدس : افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه . فصاموا حينئذ وصلوا ، ووضعوا عليهما الأيادى» (أع ١٣ : ٢ ، ٣) .

و ـ والقديس بولس الرسول صام صوماً كثيراً وكل أهل السفينة (أع ٢٧ : ٢١) .

الصوم الجماعي مقبول إذن، وهو تعليم كتابي، ويدل على وحدانية الروح في العبادة وفي التقرب إلى الله، وبخاصة إذا كان غرض الصوم أمراً يهم الجماعة كلها، أو إذا كانت تشترك في الصوم، كما في الصلاة، بروح واحد.

وليس في الصوم الجماعي رياء:

لأنه ليس أحد مميزاً على غيره فيه. أما درجة الصوم واعماقه بالنسبة إلى كل فرد، فهذه تكون في الخفاء.

وفي العهد الجديد لا يوجد نص واحد يمنع الصوم الجماعي.

اعتراض على مواعيد الصوم

إن الصوم في مواعيد محددة هو أيضاً تعليم كتابي، كما حدد الرب -في سفر زكريا النبي- صوم الشهر الرابع، وصوم الشهر الخامس، وصوم السابع، وصوم العاشر (زك ٨: ١٩).

ولعل الحكمة في تحديد مواعيد الصوم هو تنظيم العبادة الجماعية.

وفي المسيحية أخذت مناسبات الصوم طابعاً مسيحياً، لكل منه حكمته وتأثيره وهدفه الروحي.

"لا يحكم عليكم أحد"

لم يقل الرسول «لا يحكم أحد عليكم في صوم» إنما قال «لا يحكم أحد عليكم في أكل وشرب... وكان المقصود بذلك المحرمات في الأطعمة بالنسبة إلى اليهود، كأصناف الطعام التي كانوا ينجسونها.

وهذا يذكرنا بالرؤيا التي رآها القديس بطرس الرسول في قصة هداية كرنيليوس، لما رأى ملاءة عظيمة وعليها كل أنواع الأطعمة، وسمع صوتاً يقول له اذبح وكل. فقال بطرس «لا يارب، لأني لم آكل قط شيئاً دنساً، أو نجساً، فصار إليه الصوت ما طهره الله لا تدنسه أنت» (أع ١٠: ١١- ١٥).

عن هذه الأطعمة المعتبرة نجسة ودنسة، قال بولس الرسول «لا يحكم عليكم أحد فى أكل وشرب» . وذلك لأنه فى مبدأ الإيمان بالمسيحية، كان أول من دخل المسيحية هم اليهود، فأرادوا تهويد المسيحية، أى أن تدخل فى المسيحية كل العادات اليهودية مثل النجاسات والتطهير. وكذلك ما يخص اليهودية من حفظ السبت، والاحتفال بالهلال وأوائل الشهور، والأعياد اليهودية كما هى (مثل الفصح، والفطير، والأبواق، والمظال، و يوم الكفارة) . فأراد بولس مقاومة تهويد المسيحية . ولذلك قال «لا يحكم أحد عليكم فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى ظل الأمور العتيدة» (كو٢: ١٦، ١٧) .

إذن لم تكن مناسبة حديث عن الصوم، إنما عن العادات اليهودية التى يريدون ادخالها إلى المسيحية .

اعتراض الطعام النباتى

أ ـ نحب أن نقول أولاً أن الصوم فى كنيستنا ليس هو مجرد طعام نباتى، إنما هو انقطاع عن الطعام فترة معينة يعقبها أكل نباتى (خال من الدسم الحيوانى) .

ب ـ الطعام النباتى كان الطعام الذى قدمه الرب لآدم وحواء فى الفردوس (تك١: ٢٩) وبعد الخطية أيضاً (تك٣: ١٨) . وكانت الحيوانات كلها تأكل طعاماً نباتياً هو العشب (تك١: ٣٠) .

ج ـ لم يسمح الكتاب بأكل اللحم إلا بعد فلك نوح (تك ٩: ٣) وكان العالم قد هبط مستواه جداً للدرجة التى ألجأت الرب إلى الطوفان .

د ـ لما قاد الرب شعبه فى برية سيناء، قدم لهم طعاماً نباتياً هو المن (عدد١١: ٧، ٨) ولم يسمح بأكل اللحم (السلوى) إلا بعد تذمرهم وبكائهم وهبوط مستواهم . ومع عطية اللحم ضربهم ضربة شديدة . فمات منهم كثيرون (عد١١: ٣٣) وسمى ذلك المكان قبروت هتأوه (أى قبور الشهوة)، لأنهم هناك اشتهوا أكل اللحم .

هـ ـ ونلاحظ أن الطعام النباتى هو الطعام الذى أكله دانيال النبى والثلاثة فتية،

وبارك الرب طعامهم، وصارت صحتهم أفضل من كل غلمان الملك (دا ١ : ١٢-١٥).

ولعل الحكمة فى استخدام الطعام النباتى هى أمران: استخدام الأطعمة الخفيفة البعيدة عن الشهوة والتى لا تثير الجسد، كما أن الطعام النباتى كان النظام الأصلى الذى وضعه الله للإنسان.

* * *

اعتراض "مانعين عن أطعمة"

الكتاب فى النص الذى اعتمد عليه البروتستانت، لا يتحدث عن نظام فى الكنيسة، إنما يقول «يرتد قوم عن الإيمان، تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين، مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر» (١تى ٤ : ١- ٣).

ولعل المقصود بهذا المانعين والمونتانيين الذين حرموا الزواج، وحرموا اللحم، وحرموا الخمر، وقد حرمتهم الكنيسة وشجبت كل ما نشروه من بدع.

والكنيسة لا تحرم اللحوم وما ينتمى إليها، إنما تمتنع عنها فى الصوم نسكاً، وليس لأنها نجسة. بدليل أن الصائمين يأكلون هذه الأطعمة حينما يفطرون.

إن دانيال أكل القطانى فقط وامتنع عن باقى الأطعمة، ولم يقع تحت حكم هذه الآيات. وكذلك يوحنا المعمدان فى كل ما امتنع عنه من اطعمة وكذلك النساك فى كل زمان ومكان.

إن النسك - ولوقت محدد - شيء، وتحريم الأطعمة شيء آخر...

* * *

بقى أن نقول نقطة أخيرة هامة وهى:

تنظيم الصوم وسلطة الكنيسة

إن الكنيسة نظمت الصوم، ووضعت له أسسه الروحية، ومواعيده الثابتة المبنية

على قواعد روحية ليس الآن مجالها . وهكذا احتفظت بالصوم ، وبقى كعمل روحى لا يستغنى عنه أحد .

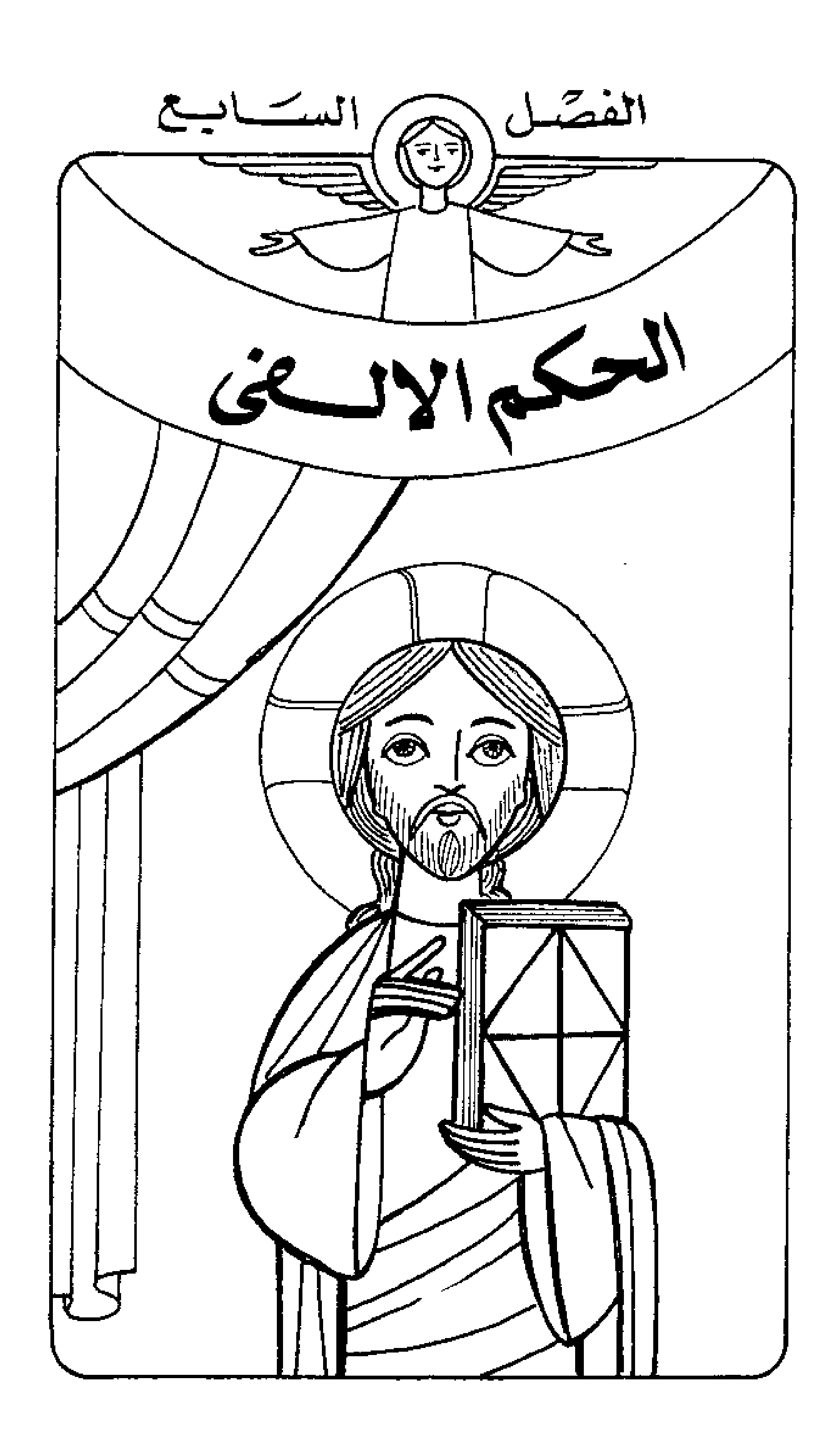
والكنيسة من حقها أن تنظم ، بل من واجبها أن تنظم ، من أجل صالح جماعة المؤمنين لكى يعبدوا الله جميعاً بروح واحدة . وهى تعتمد فى ذلك على قول الرب لقادتها « ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء . وما حللتموه على الأرض يكون محلولاً فى السماء » (متى ١٨ : ١٨) ..

وهكذا يستند التنظيم الكنسى على نص كتابى .

أما الأخوة البروتستانت ، فمن أجل حرية الفرد ، اضاعوا فائدة الجماعة كلها . واختفى الصوم تقريباً عندهم . وهو واسطة روحية لا يناقش أحد فى مدى نفعها .

والنظام عموماً نافع للفرد ، ولا يعتبر مانعاً لحريته ، بل هو منظم لاستخدامها .




الفصل السابع
الحكم الإلهى

الرأى البروتستانتى

يعتقد اخوتنا البروتستانت أن السيد المسيح سوف يأتى ويحكم ألف سنة على الأرض .

ويعتمدون على ما ورد فى سفر الرؤيا ، الاصحاح العشرين « ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء ، معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده . فقبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان ، وقيده ألف سنة ، وطرحه فى الهاوية ، وأغلق عليه وختم عليه ، لكى لا يضل الأمم فيما بعد ، حتى تتم الألف سنة . وبعد ذلك لابد أن يحل زماناً يسيراً ... » (رؤ ٢٠ : ١ - ٣) « ثم متى تمت الألف السنة ، يحل الشيطان من سجنه ، ويخرج ليضل الأمم الذين ... وابليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت .. » (رؤ ٢٠ : ٧ - ١٠) .

ويرون أن الألف سنة ستكون أزمنة سلام ...

ويعتمدون على ما ورد فى سفر اشعياء النبى « يسكن الذئب مع الخروف ، ويربض النمر مع الجدى ... ويلعب الرضيع على سرب الصلّ ، ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان ... لا يسؤون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى . لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب ... » (أش ١١ : ٦ - ٩) . وأيضاً « فيطبعون سيوفهم سككاً ، ورماحهم مناجل ، لا ترفع أمة على أمة سيفاً ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد » (أش ٢ : ٤) .

الــــردود

الرد الأول : أن مجىء المسيح سيكون للدينونة .

وهذا ما نقوله فى قانون الإيمان « يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات ، الذى ليس لملكه إنقضاء » .

ويبنى هذا على تعليم الكتاب المقدس إذ قيل فى الإنجيل «فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته، **وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله**» (مت ١٦ : ٢٧) «ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها» (مت ٢٤ : ٣٠، ٣١).

وأيضاً «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسى مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار... فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى، والأبرار إلى حياة أبدية» (مت ٢٥ : ٣١- ٤٦).

وأيضاً «... هكذا يكون فى انقضاء الدهر... يرسل ابن الإنسان ملائكته، فيجمعون من ملائكته جميع المعاثر وفاعلى الإثم، ويطرحونهم فى أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان. حينئذ يضىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم» (مت ١٣ : ٤٠- ٤٢).

ونفس الوضع نجده فى مثل العشر العذارى، وفى مثل أصحاب الوزنات. الرب يجىء للدينونة.

فيقول لصاحب الخمس وزنات مثلاً «نعماً أيها العبد الصالح والأمين. كنت أميناً فى القليل، فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (مت ٢٥ : ٢١). أما عن العبد البطال، فيقول «اطرحوه إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٢٥ : ٣٠). وبنفس أسلوب الدينونة حكم على العذارى الجاهلات، بينما دخلت معه الحكيمات (مت ٢٥ : ١٠، ١١).

* * *

وعن مجىء الرب للدينونة يقول الكتاب «..يسمع جميع من فى القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يو٥ : ٢٨، ٢٩).

* * *

والسيد المسيح يؤيد هذه الحقيقة فيقول :

« ها أنا آتى سريعاً واجرتى معى ، لأجازى كل واحد كما سيكون عمله » (رؤ٢٢ : ١٢) .

★ ★ ★

فإن كان المسيح يأتى للدينونة ، فما معنى مجيئه للحكم الألفى ؟!

فى هذه الحالة ، سيكون للرب ثلاثة مجيئات !!

مجىء للتجسد والفداء ، ومجىء للحكم الألفى ، ومجىء للدينونة . والمناداة بثلاثة مجيئات أمر لا يقبله أحد ، وضد التعليم المسيحى ، الذى ينتظر المجىء الثانى ، ومعه الدينونة وانقضاء الدهر (مت ١٣ : ٤٠) أى نهاية العالم ...

★ ★ ★

ثم ما معنى أن يملك على الأرض ألف سنة يسودها السلام ، ثم يعقب ذلك خراب ؟!

ما معنى أن يأتى الرب إلى العالم ، ويحكم ألف سنة على الأرض ، كلها سلام بين الناس ، بل أيضاً سلام بين الإنسان والحيوان ، ثم يكون نهايتها خراب هذا العالم كله : « السماء والأرض تزولان » (مت ٥ : ١٨) . وكما يقول القديس يوحنا الرائى « ثم رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة . لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا ، والبحر لا يوجد فيما بعد » (رؤ٢١ : ١) . وكما قال القديس بطرس الرسول عن مجىء الرب :

« ولكن سيأتى كلص فى الليل ، يوم الرب الذى فيه تزول السماء بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها » (٢بط ٣ : ١٠) .

★ ★ ★

وما معنى أن الألف سنة ، سنوات السلام ، يعقبها خراب روحى .؟!

فيخرج الشيطان من سجنه ليضل الأمم (رؤ٢٠ : ٧ ، ٨) . ثم يأتى الارتداد العام ، ويستعلن إنسان الخطية المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلهاً ... الذى مجيئه

بعمل الشيطان، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة (٢تس ٢ : ٣- ٩) ... «ويقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً» (مت ٢٤ : ٢٤). حتى أن الرب يقول «ولو لم تقصر تلك الأيام، لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام» (مت ٢٤ : ٢٢) ...

ما فائدة ملك ألفى، يعقبه كل هذا الخراب المادى والروحى ؟!

وهل يعقل أن سنوات من السلام فى ملك المسيح، ألف سنة، تكون نتيجتها هذا الضلال المريع، الذى لو لم تقصر أيامه لا يخلص أحد ؟!

وما الذى تكون الأرض قد استفادته من ملك المسيح ألف سنة ؟!

هل معقول أن بشراً يملكهم المسيح ألف سنة بكل تأثيره الروحى، يستطيع الشيطان بعد ذلك أن يضلهم، ويوصلهم إلى الارتداد العام، ويهلك كل ملك المسيح فيهم. من يعقل هذا الكلام ؟!

* * *

نحن نعرف أيضاً أن المسيح قد رفض الملك الأرضى :

فلما دخل أورشليم فى يوم أحد الشعانين، ونادوا به كملك قائلين «أوصنا لابن داود، مبارك الآتى باسم الرب» (مت ٢١ : ٩) «مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب» (مر ١١ : ١١).

وبعد معجزة الخمس خبزات يقول الكتاب «قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم. وأما يسوع، فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف إلى الجبل وحده» (يو٦ : ١٤، ١٥).

لقد رفض المسيح تجربة الملك. رفض جميع ممالك العالم ومجدها. كانت تجربة من الشيطان (مت ٤ : ٨، ٩).

لقد أراد ملكاً روحياً على قلوب الناس، لا سلطاناً عالمياً ...

* * *

ولعل رفض هذا الملك العالمى يذكرنا بقصة يوثام فى سفر القضاة :

« اخبروا يوثام . فذهب ووقف على رأس جبل جرزيم . ورفع صوته ونادى قائلاً لهم : اسمعوا لى يا أهل شكيم ، يسمع لكم الله . مرة ذهبت الأشجار لتمسح عليها ملكاً . فقالت للزيتونة املكى علينا . فقالت الزيتونة « أأترك دهنى الذى به يكرمون بى الله والناس ، وأذهب لكى أملك على الأشجار؟! ثم قالت الأشجار للتينة تعالى أنت واملكى علينا . فقالت لها التينة أأترك حلاوتى وثمرى الطيب ، وأذهب لكى أملك على الأشجار؟! فقالت الأشجار للكرمة تعالى أنتِ واملكى علينا فقالت لها الكرمة أأترك مسطارى الذى يفرح الله والناس ، وأذهب لكى أملك على الأشجار؟! (قض ٩ : ٧- ١٥) . وأخيراً عرضت الأشجار الملك على العوسج ، فقبل ... » .

إن الملك الأرضى لا يغرى الزيتونة ولا الكرمة... قد يغرى العوسج (الشوك) .

هل من المعقول إذن أن يقبله السيد المسيح ، الذى جاء لملكوت روحى ، وجاء يحدث الناس عن ملكوت السموات (مت ٥) . والذى قيل فى بدء كرازته : إنه جاء « يكرز ببشارة ملكوت الله . و يقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مر ١ : ١٤ ، ١٥) ، واقتراب الملكوت كان يعنى اقتراب عملية الفداء ، التى بها يملك الله على المفديين ، الذين كانوا من قبل يملك عليهم الموت ...

وحينما نقول « ليأت ملكوتك » إنما نقصد الملكوت الروحى .

أى أن يملك الله على كل قلب وفكر وإرادة ، ملكوتاً روحياً .

فلا يصبحون ملكاً للشيطان ، بل ملكاً للذى فداهم واشتراهم بدمه ...

و يكفى للرد على الحكم الألفى ، قول السيد المسيح :

« مملكتى ليست من هذا العالم » (يو١٨ : ٣٦) .

* * *

نقطة أخرى فى الرد على ملك المسيح الألفى على الأرض وهى :

« لا يكون لملكه انقضاء » ...

أى أن السيد المسيح لا يكون ملكاً محدداً بزمن معين ينتهى فيه ، ألف سنة وتنتهى !! (رؤ٢٠ : ٧) . فنحن نقول فى قانون الإيمان « يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات ، الذى ليس لملكه انقضاء » ...

وهذه العبارة وردت فى بشارة الملاك بميلاده « ويملك على بيت يعقوب إلى الأ بد ، ولا يكون لملكه نهاية » (لو١ : ٣٣) . وهذا أيضاً ما ورد فى نبوءة دانيال النبى « .. فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول . وملكوته ما لن ينقرض » (دا٧ : ١٤) .

إذن ملكوته لا يحدّ بألف سنة ، ولا بأى رقم من السنين ، بل هو ملكوت أبدى .

★ ★ ★

ما هذا الملك الأبدى ؟ وكيف ومتى بدأ ؟

هذا الملك بدأ على الصليب ، حينما اشترانا الرب بدمه . بعد سقوط آدم ، دخلت الخطية إلى العالم ، وبها دخل الموت « وملك الموت » (رو٥ : ١٤ ، ١٧) . وأصبح لقب الشيطان « رئيس هذا العالم » (يو١٢ : ٣١) . وكنا جميعاً مبيعين تحت الخطية ، تحت حكم الموت . فجاء المسيح بفدائه ، دفع ثمن خطايانا ، واشترانا بدمه . وهكذا قيل :

« الرب ملك على خشبة » (مز ٩٥) .

وهكذا قال القديس بولس الرسول « اشتريتم بثمن » (١كو٦ : ٣٠) . وهذا الثمن هو الدم . ولذلك قال القديس بطرس الرسول « عالمين أنكم أفتديتم ... بدم كريم ، كما من حمل بلا عيب ولا دنس ، دم المسيح » (١بط ١ : ١٨ ، ١٩) . ومن ذلك الحين ، من وقت الفداء ، أصبحنا وكل المفديين ملكاً للرب . وبدأ ملك المسيح وبدأت تتحقق نبوءات المزامير ، التى تبدأ بعبارة « الرب قد ملك » (مز٩٢ : ٩٦ ، ٩٨ ..) . وتضعها الكنيسة فى صلاة الساعة السادسة ، والساعة التاسعة ، منذ صلب المسيح حتى موته ...

وبدأ المسيح ملكه الألفى من على الصليب .

★ ★ ★

كلمة (ألف سنة) هى تعبير رمزى .

لا تؤخذ بالمعنى الحرفى إطلاقاً . فرقم ١٠ يرمز إلى الكمال [انظر كتابنا : الوصايا العشر] . ورقم ألف هو ١٠×١٠×١٠ ، أى مضاعفات هذا الرقم . والقديس بطرس الرسول يقول «لا يخفى عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء : أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة ، وألف سنة كيوم واحد» (٢بط ٣ : ٨) .

فالألف سنة هى فترة غير محدودة ، مثلها مثل أيام الخليقة الستة ، والقياس مع الفارق . وهى الفترة من الصليب ، حتى يحل الشيطان من سجنه (رؤ ٢٠ : ٧) .

وهنا نتعرض لنقطة هامة فى فترة الألف سنة وهى تقييد الشيطان :

تقييد الشيطان

قيل إن الملاك قيد الشيطان ألف سنة (رؤ ٢٠ : ٢) . وهنا يسأل البعض : كيف يكون الشيطان مقيداً ، بينما الشيطان يسقط عدداً لا يحصى من الناس ، فى خطايا لا تحصى ، فهل يتفق هذا مع تقييد الشيطان ؟! ونحن نقول :

تقييد الشيطان لا تعنى إبادته أو إلغاء عمله ، إنما تعنى أنه ليس فى حريته الأولى .

مثلاً نقول إن موظفاً مقيد فى وظيفته ، فهذا يعنى أنه يعمل ، ولكن ليس فى حرية ، إنما عليه قيود فى عمله . وعدم حرية الشيطان عبر عنها بعبارة سجنه . فهو بلا شك ليس فى الحرية التى كانت له قبل فداء المسيح للبشرية ، أعنى الفترة التى قيل عنه فيها إنه « رئيس هذا العالم » (يو١٦ : ١١) .

وما الدليل على ذلك : الدليل هو على الأقل أمران :

* * *

١ - حينما كان فى حريته ، أوقع العالم كله فى الفساد وعبادة الأصنام .

فى حريته أضل العالم كله ، حتى أغرقه الله بالطوفان «وحزن الرب أنه عمل

الإنسان فى الأرض..» (تك٦ : ٦). واختار الله أسرة نوح. ثم فسد أفراد هذه الأسرة، فاختار ابراهيم، ثم يعقوب وبنيه. وانتشرت عبادة الأصنام فى الأرض كلها، حتى منع الله بنى اسرائيل الذين يعبدونه من التزاوج من شعوب الأرض.

ومر وقت لم يكن يعبد الله سوى اثنين أو ثلاثة فقط.

كل العالم كان يعبد الأصنام ما عدا بنو اسرائيل. ولما صعد موسى إلى الجبل ليأخذ الشريعة من الله، وتأخر.. ضغط بنو اسرائيل على هرون رئيس الكهنة، فجمع ذهبهم وصنع لهم به عجلاً عبدوه. وقالوا «هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر» (تك٣٢ : ٤). ربما استثنى من كل هذا الشعب يشوع بن نون، وكالب بن يفنه...

بل مر وقت لم يجد فيه الله إنساناً باراً واحداً.

فقال فى أيام ارميا النبى «طوفوا فى شوارع أورشليم، وانظروا واعرفوا وفتشوا فى ساحاتها. هل تجدون إنساناً، أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق، فأصفح عنها!! (أر٥ : ١) نعم لأن «الجميع زاغوا معاً وفسدوا. ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (مز١٤ : ٣).

حتى سليمان الحكيم، أحكم أهل الأرض.

نسمع عن خطيته العظيمة فى (١مل١١)، حيث بنى مرتفعات لآلهة الأمم... وكانت زوجاته يذبحن ويبخرن للأصنام. ولم يكن قلبه من نحو الرب... وعاقبه الله، وقسم مملكته...

حتى تلاميذ المسيح، قبل الصلب...

فقال السيد المسيح لبطرس الرسول «هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة. ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك» (لو٢٢ : ٣١، ٣٢)... وفعلاً حدث أن بطرس أنكر المسيح ثلاث مرات. وباقى الرسل وقت القبض عليه. ولم يتبعه إلى الصليب سوى يوحنا. وبهوذا دخله الشيطان وسلم المسيح.



والنقطة الثانية أن الشيطان حينما يحل من سجنه ، سيضل الأمم ، ويسبب الارتداد العام .

ويحاول لو أمكن أن يضل المختارين أيضاً . ولو لم يقصر الله تلك الأ يام ، ما كان يخلص أحد (مت ٢٤ : ٢٢، ٢٣) . كذلك يصنع آيات عظيمة وعجائب (مت ٢٤ : ٢٤) ويؤيد إنسان الخطية المسبب للارتداد «بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة ، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين» (٢تس ٢ : ٩ ، ١٠) .

نشكر الله أنه الآن مقيد .

مجرد أن الكنائس ممتلئة بالمصلين، والملايين يتناولون كل أحد، دليل على أن الشيطان مقيد .

وفى أيامنا هذه ، عودة كثير من البلاد الشيوعية الملحدة إلى الله وإلى الإيمان ، بمئات الملايين دليل على أن الشيطان مقيد .

فى حريته يجعل المؤمنين يرتدون . أما الآن فملايين المرتدين يعودون إلى الإيمان... لا ننكر أن هناك خطايا عديدة باغراء الشيطان . ولهذا نقول إنه لا يزال يعمل ، ولكن ليس فى حرية .

ليس فى حريته التى كانت له قبل الفداء .

ولا فى الحرية التى تكون له بعد الألف سنة .


الفصل الثامن
المواهب والالسنة

المواهب

كثير من الإخوة البروتستانت ، يتمسكون بالمواهب ، و يسعون إليها ، و يعتبرونها من حقوقهم كأبناء و ورثة . و يضعون أمامهم الآية التي تقول : « جدوا للمواهب الحسنى » ولا يكملون باقيها « وأيضاً أريكم طريقاً أفضل » (١ كو ١٢ : ٣١) .

وهم يهتمون بالألسنة . و ينسون أن الرسول قال مباشرة بعد هذه الآية السابقة : « إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة . لكن ليس لى محبة ، فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن » (١ كو ١٣ : ١) .

و يشرح كيف أن المحبة أفضل من جميع المواهب .

* * *

ثمار الروح أهم لخلاصكم من مواهب الروح :

تحدث القديس بولس عن ثمار الروح فى (غل ٥ : ٢٢) فقال إنها : « محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفف » .

والثمرة الأولى (المحبة) قال عنها الرسول إنها أعظم من الإيمان والرجاء (١ كو ١٣ : ٢ ، ١٣) بل أعظم من الإيمان الذى ينقل الجبال ... وقال الرب عن المحبة ، أنه يتعلق بها الناموس كله والأنبياء (مت ٢٢ : ٤٠) .

إن التلاميذ الذين فرحوا بالمواهب ، قال لهم الرب : « **لا تفرحوا بهذا** . بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى ملكوت السموات » (لو ١٠ : ٢٠) .

* * *

كثيرون كانت لهم مواهب ، وفقدوا الخلاص وهلكوا ..

لم تنفعهم المواهب ، ولم تخلصهم . وفى ذلك يقول الرب : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب يارب . أليس باسمك تنبأنا ، و باسمك أخرجنا شياطين ، و باسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط . إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

المواهب لا فضل لك فيها ، ولذلك لا مكافأة لك عليها . أنت لا تخلص بها . لماذا إذن الصراع لأجل المواهب .

المواهب تحارب الذين يريدون أن تظهر ذواتهم وتتمجد . أما القديسون الكبار ، المحبون للاتضاع ، فكانوا يهربون من المواهب .

★ ★ ★

وعلى رأى أحد الآباء : [**إذا أعطاك الله موهبة ، فاطلب منه أن يعطيك إتضاعاً لكى يحمى هذه الموهبة . أو اطلب من الرب أن ينزع هذه الموهبة منك**] .

وبولس الرسول نال من الرب مواهب كثيرة . وقال بعدها : « ولئلا أرتفع من فرط الاعلانات ، أعطيت شوكة فى الجسد . ملاك الشيطان ليلطمنى لكى لا أرتفع » (٢ كو ١٢ : ٧) . هذا الرسول العظيم رجل النعمة الذى صعد إلى السماء الثالثة (٢ كو ١٢ : ٢) كان فى خطر من جهة المواهب ! فإن كان هناك خوف على القديس العظيم بولس الرسول من المواهب ، أفلا يخاف الشبان المساكين فى هذه الأيام وهم يطلبون المواهب و يقولون إنها من حقهم ؟! و يصلى قادتهم من أجلهم ، و يضعون عليهم الأيادى لينالوا المواهب !

يعقوب أبو الآباء نال مواهب : أخذ البركة ، ورأى سلماً بين السماء والأرض وملائكة الله ... ورأى الله نفسه وتكلم معه . وصارع مع الله والناس وغلب (تك ٣٢ : ٢٨) . وخوفاً على يعقوب من المواهب ، ضربه الله على حق فخذه ، فصار يخمع عليها ... أعطاه نوعاً من الضعف فى الجسد ، يحميه من فكر الكبرياء بسبب المواهب .

★★★

أما عبارة « جدوا للمواهب الروحية » فإنها لا تعنى أن نطلبها . إنما إعداد القلب بالنقاوة والاتضاع ، كى يقبل هذه المواهب التى ليست كلها من نطاق القوات والعجائب ، وإنما منها أيضاً الحكمة والعلم والإيمان... حسب تعليم الرسول (١ كو ١٢ : ٨ ، ٩) .

إنم أردتم أن تطلبوا من الله عطية صالحة ، فان الرب يعلمنا ماذا نطلب . الله يقول فى عظته على الجبل : « اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره . وهذه كلها تزاد لكم » (مت ٦ : ٣٣) .

إن الصلاة الربية التى علمنا الرب إياها ، وهى صلاة نموذجية نلاحظ أنه ليس فيها طلب مواهب .

***

أصعب من المواهب فى هذه الأيام ، أن يقول الشخص لآخر : [**اسلمك الموهبة**] أو تعال أسلمك الاختبار . و يضع يده عليه ، و يصلى عليه ، ليمنحه الروح القدس ، أو ليمنحه الملء . والعجيب أنه حتى النساء ، يضعن أيديهن على الناس لمنحهم الروح القدس ! المرأة قد يمنحها الله موهبة الشفاء .

ولكن منح الروح القدس هو عمل كهنوتى كان يمارسه الرسل أولاً بوضع اليد ، ثم صار يمارسه الكهنة فى سر الميرون .

ونحن ننال الروح القدس فى سر المسحة المقدسة بعد المعمودية . قد تحدث الكتاب عن هذه المسحة (١يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) . كما تحدث عن وضع اليد بواسطة الرسل (أع ٨ : ١٤-١٧) .

هذا السلطان الذى كان للرسل ، ثم لخلفائهم ... يدعيه الآن الشبان والناس ، و يسلمون الناس الروح القدس ، لكى يمتلئوا و يتكلموا بألسنة !

فى لاهوتنا الأرثوذكسى ، كان الذى يحصل على موهبة يحاول إخفاءها ، كما حدث مع القديس الأنبا صرابامون أبى طرحة فى الشفاء ومع غيره من القديسين .

***

نقطة أخرى **وهى : هل المواهب تطلب أم تمنح ؟**

إن الله يمنح الموهبة التى يشاء ، لمَنْ يشاء ، فى الوقت الذى تحدده حكمته الإلهية . « وملكوت الله لا يأتى بمراقبة » (لو ١٧ : ٢٠) . إنه كالريح التى تهب حيث تشاء « حسبما قسم الله لكل واحد نصيباً من الإيمان » (رو ١٢ : ٣) . فلماذا إذن طلب المواهب ؟ ولماذا الألسنة بالذات .

المواهب لا يسلمها أحد لآخر ، بل هى مشيئة الله وعمل روحه القدوس .

ولكن موهبة الألسنة لمَنْ يطلبها قد ترضى كبرياء الذين يحبون المظاهر . إنها موهبة مغرية للإنسان العتيق ، وليس مغرية للإنسان الروحى . وأسوأ من هذا أن يحتقر

هؤلاء غيرهم ممَنْ لا يملكون الموهبة و يعلنون أن مستواهم ضعيف ، بينما الكتاب يعلن أن الألسنة ليست للكل (١ كو ١٤) .

أليست هذه الكبرياء مدعاة للشك فيمَنْ يدعون هذه الموهبة ؟

إن قال لك شخص : [تعال اسلمك هذا الاختبار] قل له : [أنا لا أستحق هذه المواهب. وليس لى التواضع الذى يحتملها . أما إن أراد الله أن يعطينى موهبة ، فسيعطينى دون أن أطلب . وحينئذ سأطلب منه أن يمنحنى تواضعاً ليحمينى من الكبرياء . وإن أعطانى الله موهبة ، فلن أتحدث عنها ، ولن أعلنها للناس ، حتى لا أعرض نفسى لحروب روحية أنا أقل من مستواها .

★★★

الحركة الخمسينية والتكلم بألسنة

لعل أبرز ما يميز هذه الحركة ، إعتقاد الخمسينيين بمعمودية الروح القدس (غير معمودية الماء والروح) . هكذا ينادى الخمسينيون فى مصر ـ كما هو واضح من كتبهم ـ وهكذا تنادى جماعة الكرزماتك ، والذين يتبعون الخمسينيين دون أن يعلنوا ذلك ، يسمون هذا الأمر حلولاً أو إمتلاءاً .

و يرون أن أهم ما يميز معمودية الروح ، أو أهم ما يميز هذا الحلول أو الإمتلاء أو الملء ، هو التكلم بألسنة . فالألسنة فى نظرهم هى العلامة الأولى على أن الشخص قد حل عليه الروح . لذلك فى ضم أى إنسان إليهم ، يجاهدون أن يجعلوه يتكلم بألسنة لكى يشابه الرسل فى يوم الخمسين . و يهتمون بالألسنة كأنها كل شيء ـ كما علمهم أساتذتهم ـ أياً كانت هذه الألسنة كلاماً مفهوماً أو غير مفهوم ، وفى غالبية الحالات إن لم يكن فى كلها ، تكون هذه الألسنة أصواتاً لا تعبر عن شيء .

فما هو تعليم الكتاب عن التكلم بألسنة ؟

التكلم بألسنة

نلاحظ النقاط الآتية من دراسة الكتاب وبخاصة (١كو ١٤) الذى يمكن أن نسميه أصحاح الألسنة.

١ - الألسنة هى الأخيرة فى ترتيب المواهب :

عندما ذكر بولس الرسول مواهب الروح فى رسالته الأولى إلى كورنثوس، جعل التكلم بألسنة وترجمة الألسنة فى آخر المواهب، فقال :

« فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد... فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد. ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد. ولآخر أعمال قوات، ولآخر نبوءة، ولآخر تمييز الأرواح. ولآخر أنواع الألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء » (١كو ١٢ : ٤-١١).

وهكذا جعل التكلم بألسنة، وترجمة الألسنة، فى آخر قائمة المواهب، ويسبق الألسنة : الحكمة، والعلم والإيمان، ومواهب الشفاء، وأعمال القوات، والنبوءة وتمييز الأرواح...

وقال الرسول أيضاً : « فوضع الله أناساً فى الكنيسة : أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين، ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء، أعواناً تدابير، وأنواع ألسنة (١كو ١٢ : ٢٨).

وهكذا وضع التكلم بألسنة فى آخر المواهب...

***

وقال : « جدوا للمواهب الحسنى، وأيضاً أريكم طريقاً أفضل » (١كو ١٢ : ١٣). وشرح أن هذا الطريق الأفضل هو المحبة (١كو ١٣) وشرح كيف أن هذه

المحبة أهم وأعظم من النبوءة وكل علم ، ومن كل الإيمان الذى ينقل الجبال ، ومن العطاء والنسك .

وشرح أن المحبة أهم من التكلم بألسنة الناس والملائكة ... وليس ألسنة الناس فقط . فقال : « إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ، ولكن ليس لى محبة ، فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن » (١ كو ١٣ : ١) .

***

٢ ـ التكلم بألسنة ليس للكل :

رأينا فيما تقدم أن الله « قسّم لكل واحد بمفرده كما يشاء » (١ كو ١٢ : ١١) « ولنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا » (رو ١٢ : ٦) . « وكما قسّم الله لكل واحد مقداراً من الإيمان » (رو ١٢ : ٣) . ومن جهة التكلم بألسنة قال بصراحة :

« ألعل الجميع رسل ؟ ألعل الجميع أنبياء ؟ ألعل الجميع معلمون ؟ ألعل الجميع أصحاب قوات ؟ ألعل للجميع مواهب شفاء ؟ ألعل الجميع يتكلمون بألسنة ؟ ألعل الجميع يترجمون » (١ كو ١٢ : ٢٩ ، ٣٠) .

وواضح من هذا أن الموهبة ليست للجميع .

إذن فحتى فى العصر الرسولى لم يكن من الضرورى أن ينال كل مؤمن موهبة التكلم بألسنة التى لم تكن علامة ضرورية لاثبات حلول الروح فى الإنسان . فقد يكون الإنسان قديساً ولا يتكلم بلسان .

إن الله يعرف متى يعطى المواهب ، ولماذا يعطيها . وقد منح التكلم بألسنة فى عهد الرسل بوفرة شديدة ، فى بداية الكرازة ، من أجل البنيان ، إذ كانت لازمة جداً فى ذلك الزمان .

ولكن الألسنة ليست لازمة لكل زمان ، وفى ذلك يقول الكتاب : « أما الألسنة فستنتهى » (١ كو ١٣ : ٨) .

وحتى فى زمن الرسل ، ماذا كانت شروط التكلم بألسنة ؟ إننا بقراءة (١ كو ١٤) ، نرى شروطاً منها :

***

٣ ـ يجب أن تكون الألسنة لبنيان الكنيسة :

إن أهم عبارة تميز أصحاح الألسنة (١ كو ١٤) ، هى كلمة « للبنيان » ذكرها الرسول مرات عديدة ، وأصر عليها جداً .

وقال فى صراحة : « فليكن كل شىء للبنيان » (١ كو ١٤ : ٢٦) . وقال أيضاً : « هكذا أنتم أيضاً ، إذ أنكم غيورون للمواهب الروحية اطلبوا لأجل بنيان الكنيسة أن تزدادوا » (ع ١٢) .

ومن أجل بنيان الكنيسة ، ذكر أن : « مَنْ يتنبأ أعظم ممَنْ يتكلم بألسنة » (ع ٥) . لأن « مَنْ يتكلم بلسان يبنى نفسه ، وأما مَنْ يتنبأ فيبنى الكنيسة » (ع ٤) . وكانت كلمة التنبوء تعنى قديماً التعليم أيضاً . وقد فضل الرسول هذا التنبوء « لأن مَنْ يتنبأ ، يكلم الناس ببنيان ووعظ وتعزية » (ع ٣) .

★★★

٤ ـ شرط أساسى للألسنة هو ترجمتها :

قال الرسول : « مَنْ يتكلم بلسان ، فليصل لكى يترجم » (ع ١٣) وأضاف : « ولكن إن لم يكن مترجم ، فليصمت فى الكنيسة » (ع ٢٨) .

والسبب عند الرسول واضح ، وهو بنيان الكنيسة . وفى ذلك يقول : « إلاَّ إذا ترجم ، حتى تنال الكنيسة بنياناً » (ع ٥) فإن لم يحصل هذا البنيان فليصمت . وعبارة (يصمت) هى أمر رسولى .

إذن : إما بنيان الكنيسة بالترجمة ، وإما الصمت .

إن وجود المترجم شهادة على صحة التكلم بلسان . وهكذا تكون موهبة الألسنة لشخصين فى وقت واحد : أحدهما هو المتكلم والثانى هو المترجم و ينطبق قول الكتاب : « على فم شاهدين أو ثلاثة ، تقوم كل كلمة » إن كانت الألسنة بلا ترجمة فما لزومها ؟ وكذلك ما لزومها إن كان كل الحاضرين يفهمون اللغة ؟

★★★

٥ ـ ما معنى « يبنى نفسه » ؟

يبنى نفسه ، أى يكون فى حالة روحية خاصة ، حالة حلول الروح ، وهى نافعة لبنيانه الشخصى . هذه الحالة عليها ملاحظتان ذكرهما القديس بولس وهما :

أ ـ يصمت ، كأى عمل روحى خاص ، بينه وبين الله .

وفى ذلك قال : « فليصمت فى الكنيسة ، وليكلم نفسه والله » (ع ٢٨) أمر بينه وبين الله ، يليق به المخدع المغلوق ، وليس الكنيسة أمام الناس . حينئذ يكون التكلم بلسان ، كنوع من الصلاة . وحتى على هذا يوجد تعليق :

ب ـ يكون الذهن بلا ثمر ، مجرد عمل للروح :

وفى هذا يقول الرسول : « لأنه إن كنت أصلى بلسان ، فروحى تصلى وأما ذهنى فهو بلا ثمر» (ع ١٤) .

ووجد الرسول أن هذه الحالة يلزمها أن تكمل بالفهم ، فيصلى الإنسان بروحه ، ويصلى بذهنه أيضاً . يرتل بروحه ، ويرتل بذهنه أيضاً (ع ١٥) لكى يكون بنيانه الروحى أثبت وأقوى .

★★★

على الرغم من عبارة : « يبنى نفسه » هذه التى ذكرها الرسول فى حرص ، وبملاحظات ، وأظهر أنها بنيان ناقص ، فان الرسول ، لأجل البنيان أيضاً يقول :

« أشكر إلهى أنى أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم . ولكن فى الكنيسة أريد أن أتكلم خمس كلمات بذهنى ، لكى أعلم آخرين أيضاً . أكثر من عشرة آلاف كلمة بلسان» (ع ١٨ ، ١٩) .

إذن لا داعى لأن يسعى الناس بكل قواهم للتكلم بألسنة ويظنوها نصراً عظيماً ...

هذا إذا كانت الألسنة موهبة حقيقية من الروح القدس فماذا نقول إذن إن كان البعض يدعون أنهم يتكلمون بألسنة ، ولا نضمن صحة هذا الإدعاء ...

★ ★ ★

٦ ـ الألسنة آية لغير المؤمنين :

يقول الرسول عن التكلم بألسنة « إذن الألسنة آية لا للمؤمنين ، بل لغير المؤمنين ... » (١كو١٤ : ٢٢) .

ولأجل هذا السبب منح الله هذه الآية للكنيسة فى بدء العصر الرسولى ، لأجل انتشار الكرازة ، ولكى يصل الإيمان إلى شعوب وأمم لا تعرف لغة الآباء الرسل (الأرامية ـ أو العبرية) . فيبشرونهم بالألسنة ، كما حدث فى يوم الخمسين « فبهت الجميع وتعجبوا ... » « وتحيروا لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته » (أع ٢ : ٧ ، ٦) .

ولكن ما معنى أن يقف شخص وسط أناس يتكلمون بنفس لغته ، لكى يكلمهم بلغة غريبة ... لهذا اشترط الرسول وجوب الترجمة « ولكن إن لم يوجد مترجم ، فليصمت » (١كو١٤ : ٢٨) .

* * *

٧ ـ الرسول اعتبر التكلم بألسنة تشويشاً ، إن لم يكن للبنيان .

فقال « ... إن كان الجميع يتكلمون بألسنة ، فدخل عاميون أو غير مؤمنين ، أفلا يقولون إنكم تهذون » (١كو١٤ : ٢٣) « هكذا أنتم أيضاً إن لم تعطوا باللسان كلاماً يُفهم ... فإنكم تكونون تتكلمون فى الهواء » (١كو١٤ : ٩) « فإن كنت لا أعرف قوة اللغة ، أكون عند المتكلم أعجمياً ، والمتكلم أعجمياً عندى » (١كو١٤ : ١١) .

اقرأ كل الاصحاح لتتثبت من نفس المعنى ...



الفصل التاسع
التوبة

الكل ينادى بالتوبة . لا يجادل فى أهميتها أحد .

ولكن التوبة عند الأرثوذكس شىء ، وعند الطوائف الأخرى شىء مختلف تماماً ، من جهة ما هيتها ، ومفعولها ، واتمامها ، ولزومها للخلاص ، وما يتعلق بها من أمور أخرى . وسنتناول الآن هذه الخلافات واحداً فواحداً :

١ ـ التوبة « سر » :

التوبة فى المفهوم الأرثوذكسى هى سر من أسرار الكنيسة السبعة اسمه سر التوبة « أما الطوائف البروتستانتية ـ وهى لا تؤمن بأسرار الكنيسة ـ فلا تنظر إلى التوبة كسر مقدس . هناك إذن فرق بين « التوبة » و « سر التوبة » .

ولهذا الفارق دلالاته ونتائجه اللاهوتية . فما هى ؟

* * *

٢ ـ التوبة والاعتراف :

فى المفهوم الأرثوذكسى ، يمثل الاعتراف بالخطية جزءاً أساسياً من سر التوبة . ونقصد به الاعتراف على الأب الكاهن «من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم» (أم ٢٨ : ١٣) .

وقد مارس الناس الاقرار بالخطية (الاعتراف بها) فى العهد القديم «فان كان بذنب فى شىء من هذه، يقر بما قد أخطأ به «ويأتى إلى الرب بذبيحة لاثمه» (لا ٥ : ٥) ، والكتاب مملوء بأمثلة من الاعتراف واستمر الأمر إلى آخر نبى فى العهد لقديم ، أو فترة ما بين العهدين ، يوحنا المعمدان ، والذى أتاه الناس من كل موضع « واعتمدوا منه فى الأردن ، معترفين بخطاياهم» (متى ٣ : ٦) .

وفى العهد الجديد ، مارسوا الاعتراف بالخطية أيضاً ... «وكان كثيرون من الذين آمنوا ، يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم» (أع ١٩ : ١٨) «واعترفوا بعضكم على بعض بالزلات» (يع ٥ : ١٦) .

أما الطوائف البروتستانتية فلا تعتقد بالاعتراف ، ولا تدخله ضمن نطاق التوبة .

٣ ـ التوبة والكنيسة :

حقاً إن التوبة عمل داخل القلب ، يشمل الندم وتبكيت الضمير، والعزم على ترك الخطية، وتركها بالفعل ، قلباً وعملاً . ولكن التوبة تتم داخل الكنيسة بالاعتراف والتحليل ...

من جهة الخاطىء ، الاعتراف بالخطية ومن جهة الكاهن ، قراءة التحليل ومنح المغفرة.. «اقبلوا الروح القدس ، من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن امسكتم خطاياه أمسكت» (يو٢٠ : ٢٢، ٢٣).

ويتبع هذا أيضاً الارشاد الذى يتلقاه التائب من أبيه الروحى ، لكيما يثبت فى توبته .

أما الطوائف البروتستانتية ، فتقدم توبة منفصلة تماماً عن الكنيسة ، مجرد عمل فردى لا علاقة له بالكهنوت . لأن البروتستانتية لا تؤمن بالكهنوت إنما تؤمن بعلاقة مباشرة مع الله . والطوائف البروتستانتية فى هذا الأمر على نوعين :

١ ـ نوع يهاجم الاعتراف والكهنوت علناً . وهو النوع الأضعف لأنه مكشوف ، يحترس منه الثابتون فى العقيدة ، كما أن آراءه ظاهرة يمكن الرد عليها .

٢ ـ النوع الثانى لا يهاجم الاعتراف ولا الكهنوت ولا التناول ، لكنه يريد أن ينسى الناس هذه الأسرار، بعدم الحديث عنها ، وبتقديم بديل لها ، كأن يقول : أنت محتاج إلى التوبة ، والرجوع إلى الله . اذهب إليه اطرح نفسك عند قدميه ، اترك خطاياك عنده ليمحوها بدمه ، وتخرج فى الحال مبرراً . كأن لم تخطىء من قبل . يغسلك فتبيض أكثر من الثلج ...

وفى كل هذا ، لا يتحدث عن أهمية الاعتراف والتحليل والتناول، يتركها لينساها الناس . وفى نفس الوقت يرون أمامهم كلاماً روحياً ، فيخدعون به ، وما أكثر البسطاء . إنه طريق غير مكشوف ، وواجبنا أن نكشفه للناس .

* * *

٤ ـ التوبة والخلاص :

كثير من البروتستانت يحاولون أن يبعدوا التوبة عن موضوع الخلاص ، فى تركيزهم على دم المسيح ، قائلين للناس ، أنتم تخلصون بدم المسيح ، وليس بالتوبة . فالتوبة

عمل من الأعمال وأنتم لا تخلصون بالأعمال.

ونحن لا ننكر أن الخلاص يتم بدم المسيح ، ولكن المسيح نفسه يعلمنا أنه لا خلاص بلا توبة. و يقول فى ذلك: «إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون» (لو١٣ : ٣).

إن التوبة لازمة للخلاص ، لأنه لا يوجد أحد لا يخطىء ومادامت هناك خطية ، فللخطية عقوبة ، وأجرة الخطية موت . ولا خلاص من هذا الموت إلا بالتوبة . التوبة تجعلنا مستحقين لدم المسيح . وإن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون.

* * *

٥ ـ التوبة وعمل النعمة :

ترى كثير من الطوائف البروتستانتية أن التوبة هى عمل من أعمال النعمة، وأن كل مجهودات الإنسان لا قيمة لها . يكفى أن يلقى الإنسان نفسه تحت قدمى المسيح فيخلصه من خطاياه.

والتعليم الأرثوذكسى يرى أن كل حياة الإنسان الروحية، هى شركة بين الإنسان والروح القدس. الروح القدس يعين، ولكن الإنسان لابد أن يجاهد. وإن لم يجاهد يبكته الرسول بقوله «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية» (عب ١٢ : ٤).

والكتاب يصور الحياة الروحية حرباً ، تحتاج إلى سلاح الله الكامل إنها «مصارعة ليست مع لحم ودم، بل مع أجناد الشر الروحية» (أف ٦)، وهذه الحرب تحتاج بلاشك أن يقاتل الإنسان و ينتصر...

هذا القتال ، هو ما عناه السيد المسيح فى رسائله إلى ملائكة الكنائس السبع ، بقوله «من يغلب فسأعطيه...» (رؤ٢ : ٣). إن النعمة لا تعمل كل شيء ، وإلا ما كان الله يقول «ارجعوا إلىَّ أرجع إليكم..».

* * *

٦ ـ التوبة والاختبارات :

الفكر البروتستانتى يعتبر التوبة اختباراً ، و يشجع التائبين أن يحكوا للناس عن اختباراتهم، فتسمع منهم عبارة «أنا كنت (كذا) وصرت الآن كذا(. و يظل

يحكى عن خطاياه القديمة أمام الكل بلا خجل، مغطياً اياها بما وصل إليه من نعمة! وإن صمت يقولون له «احكى اختباراتك..».

أما الأرثوذكسية فتمنع هذه القصص لأنها غالباً ما تحمل افتخاراً بالتغير الذى وصل إليه التائب ...

* * *

٧ ـ التوبة بين الفرح والانسحاق :

تميل الأرثوذكسية إلى انسحاق نفس التائب، متذكراً ما أساء به إلى الله، مبللاً فراشه بدموعه كما فعل داود النبى... أما البروتستانتية فتدعوالناس إلى الفرح الذى لا انسحاق فيه. بل كثيراً ما يتحول التائب حديثاً إلى خادم، بطريقة مباشرة، لا تعطيه فرصة للحزن الداخلى على خطاياه. ويعللون ذلك بأنه يجب أن يفرح بالخلاص ...

وردنا على ذلك، أنه ـ فى تناول خروف الفصح ـ وسط فرح الشعب بنجاته من سيف الملاك المهلك، كان يأكل الفصح على أعشاب مُرة، حسب أمر الرب.(خر ١٢ : ٨).

والاعشاب المُرة كانت تذكرهم بخطاياهم، التى بسببها وقعوا فى عبودية فرعون... حقاً إن أكل الفصح يذكرهم بالخلاص وبهجته، ولكن الفصح يجب أن يؤكل على أعشاب مُرة.

ما هو مركز (الأعشاب المُرة) فى التوبة بالمفهوم البروتستانتى؟!

إن أحد الكتب البروتستانتية هاجم حتى مجرد عبارة (يارب ارحم) التى نقولها فى صلواتنا، كما هاجم كل عبارات الانسحاق، واتهمها بأنها ضد (بهجة الخلاص) !

* * *

٨ ـ التوبة والتجديد :

إن ما نسميه فى الأرثوذكسية (توبة) كثيراً ما يسميه البروتستانت تجديداً، أو ولادة جديدة، أو خلاصاً ... فيسألون بعضهم بعضاً « هل تجددت ؟ هل خلصت ؟ هل اختبرت الولادة الجديدة ! ».

ويكون كل ما يقصدونه هو عملية توبة، لا أكثر ولا أقل. مر بها هذا الشخص ...

فى المفهوم الأرثوذكسى ، كل هذه التعبيرات : التجديد ، الولادة الجديدة ، الخلاص ، تتم فى سر المعمودية . أما التوبة فهى عملية تغيير فى سلوك الإنسان .

* * *

٩ ـ التوبة تسبق جميع الأسرار :

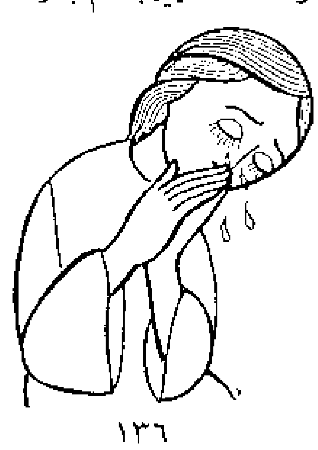
إنها تسبق سر المعمودية ، كما قال بطرس الرسول «توبوا وليعتمد كل واحد منكم» (أع ٢ : ٣٨) . وهى تسبق سر التناول كما قال معلمنا بولس الرسول «١كو١١ : ٢٧ـ ٢٩) . وهى تسبق أيضاً سر مسحة المرضى (يع ٥ : ١٤ـ ١٥) . وهكذا باقى الأسرار مادامت الأسرار نتعماً من الروح القدس ، ينبغى إذن التمهيد لها بنقاوة القلب بالتوبة ... أما البروتستانت ، فإذ لا يؤمنون بأسرار ، ولا بالتوبة كسر ، فهذا الكلام كله خارج عن مفاهيمهم .

* * *

١٠ ـ التوبة ـ السلوك ، والأعمال :

البروتستانت لا يرون الحياة المسيحية حياة سلوك وعمل ، بل هى حياة نعمة وإيمان ، والأرثوذكسية يهمها الإيمان والنعمة ، ولكنها تنادى مع الرسول «بأعمال تليق بالتوبة» (مت ٣ : ٨) . وترى أن السلوك المسيحى أمر واجب ، ولازم للخلاص .

فإن كان البروتستانت يصرون على أهمية الدم لتطهير الإنسان ، فإننا نضع أمامهم قول يوحنا الرسول (فى علاقة السلوك بالدم) «ولكن إن سلكنا فى النور كما هو فى النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع ابنه يطهرنا من كل خطية» (١يو١ : ٧) . وهذا وضع السلوك كشرط . لا تطهير بالدم بدون التوبة . التوبة شرط أساسى .




الفصل العاشر
وساطة الكنيسة

قال القديس بولس عن عمل السيد المسيح الكفارى فى الفداء : « يوجد .. وسيط واحد بين الله والناس ، الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية من أجل الجميع » (١تى ٢ : ٥) . وواضح هنا أن الكلام عن الفداء .

وبنفس المعنى قال القديس يوحنا الرسول : « إن أخطأ أحد ، فلنا شفيع عند الله الآب : يسوع المسيح البار . وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا العالم كله » (١يو٢ : ١ ، ٢) . وواضح أن الكلام عن الكفارة والشفاعة الكفارية .

إذن الوساطة التى تحدث عنها بولس الرسول خاصة بالفداء .
والشفاعة التى تحدث عنها يوحنا الرسول خاصة بالكفارة ...

ولكن أخوتنا البروتستانت يستخدمون هاتين الآيتين إستخداماً واسعاً جداً يخرجهما عن موضوع الكفارة والفداء ، إلى إنكار كل ما يعتقدونه وساطة بين الله والناس .

فيعتقدون بعلاقة مباشرة بين الله والناس ...
تجعلهم فى غير حاجة إلى الكهنوت ووساطة الكنيسة !

هم يعتبرون الكهنوت وساطة ، فلا يؤمنون به !!

وكذلك شفاعة القديسين وساطة ! فلا يعتقدون بها !

وأيضاً الإعتراف ، والتحليل هما من عمل الكهنوت ، فلا حاجة لهم بهما . إنما فى علاقة مباشرة يعترفون على الله ، و يأخذون المغفرة منه مباشرة ...

وحتى بعد الوفاة ، لا أهمية فى نظرهم للصلاة على الموتى ، لأنها شفاعة من الكنيسة فيهم .. ! ولون من الوساطة !

* * *

ولنضرب مثلاً آخر بالمعمودية .

الولادة الجديدة التى ننالها فى المعمودية (يو ٣ : ٥ ، تى ٣ : ٥) ، وكذلك التبرير وغفران الخطايا بالمعمودية (أع ٢ : ٣٨ ، ٢٢ : ١٦) .

يعتقد الإنسان البروتستانتى أنه ينال كل هذا بمجرد إيمانه ... و يدخل الأمر إذن فى علاقته المباشرة مع الله ، ولا حاجة إلى الكهنوت والكنيسة ...

و يعتقد أنه ينال الخلاص بمجرد إيمانه .

كأن المعمودية لا قيمة لها ، ولا علاقة لها بموضوع الخلاص !! وكأن السيد المسيح لم يقل « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) ، مع باقى الآيات التى تربط بين المعمودية والخلاص ، مثل (١بط ٣ : ٢٠ ، ٢١) ، (تى ٣ : ٥) .

وهكذا يصل إلى الخلاص اللحظى ، أو الخلاص فى لحظة !

ولأن المعمودية تتم عن طريق الكهنوت والكنيسة ، إذن لا دخل لها فى موضوع خلاصه ، الذى يتوقف فى اعتقاده على مجرد العلاقة المباشرة بينه و بين الله ، دون وساطة الكنيسة ! أى بإيمانه الشخصى ...

الإيمان

وهنا أحب أن أسأل سؤالاً بخصوص هذا الإيمان :

الإيمان الذى يرى المسيحى البروتستانتى ، إنه ينال به التبرير والتجديد والتبنى ومغفرة الخطايا ، والخلاص عموماً ... حتى يقول البعض « كله بالإيمان » .

كيف ينال الإنسان الإيمان ؟ أليس عن طريق الكنيسة ؟

يقول القديس بولس الرسول فى شرح عبارة « كل من يدعو باسم الرب يخلص » (رو ١٠ : ١٣) : « فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به ؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به ؟ وكيف يسمعون بلا كارز ؟ وكيف يكرزون إن لم يُرسلوا ؟ » (رو ١٠ : ١٤ ، ١٥) . إذن لا بد من كارز يكون واسطة للإيمان . وهذا الكارز لا بد أن ترسله الكنيسة ... إذن الكنيسة هى الوسيط الذى يوصل الإيمان إلى الناس ، الإيمان بالله . هوذا بولس الرسول يقول لأهل كورنثوس عن وساطته هو وزميله أبلّوس :

« فمن هو بولس ؟ ومن هو أبلّوس ؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما » (١ كو ٣ : ٥) .

إذن كان بولس وأبلوس وسيطين ، عن طريقهما وصل الإيمان إلى أهل كورنثوس .

ونفس الوضع قيل فى الإنجيل عن يوحنا المعمدان الكاهن « هذا جاء للشهادة ليشهد للنور، لكى يؤمن الكل بواسطته » (يو ١ : ٧) ... هذه إذن هى أول وساطة بين الله والناس : توصيل الناس إلى الإيمان بالله ...

وإن لم يكن هناك وسطاء بين الله والناس ، فماذا كانت إذن وظيفة الأنبياء والرسل والمعلمين ؟!

هوذا الكتاب يقول عن الرب «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ، والبعض أنبياء والبعض مبشرين ، والبعض رعاة ومعلمين » (أف ٤ : ١١) . لماذا ؟ ما هو عمل كل هؤلاء ، إلا أن يكونوا وسطاء بين الله والناس . ولذلك قال عن عملهم « لأجل تكميل القديسين ، لعمل الخدمة ، لبنيان جسد المسيح » (أف ٤ : ١٢) ... إنهم ينقلون الإيمان إلى الناس ...

فهل إن آمنوا يتركونهم ؟! كلا ، بل يعمدونهم .

وهكذا قال السيد المسيح لرسله القديسين « إذهبوا إلى العالم أجمع . واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها . من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٥ ، ١٦) . وقال لهم أيضاً « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم . وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس . وعلموهم جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) .

وبعمل الكنيسة فى الكرازة والتعليم ، إنتشر الإيمان .

المعمودية

وكانت الكنيسة تعمد كل من يؤمن ...

الذين آمنوا فى يوم الخمسين من اليهود ، عمدهم الرسل وكانوا نحو ثلاثة آلاف (أع ٢ : ٣٧ — ٤١) . وعمدوا أهل السامرة لما آمنوا (أع ٨ : ١٢ ، ١٦) . والخصى الحبشى لما آمن اعتمد (أع ٨ : ٣٧ ، ٣٨) . وسجّان فيلبى الذى قال له بولس الرسول «آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ٣١) ، هذا « اعتمد فى الحال ، هو والذى له أجمعون » (أع ١٦ : ٣٣) . وكذلك اعتمدت ليديا بائعة الأرجوان هى وأهل بيتها (أع ١٦ : ١٥) .

إذن كانت الكنيسة واسطة فى نشر الإيمان ، وفى تعميد المؤمنين وأهلهم ...

هل يجرؤ أحد إذن أن يقول - فى غير موضوع الكفارة والفداء - لا وسيط بين الله والناس ؟ الكنيسة إذن كان من عملها الكرازة ونشر الإيمان . وكان كهنتها يقومون أيضاً بتعميد المؤمنين . والكتاب كان يسميهم أحياناً « سفراء » (٢ كو ٥ : ٢٠) ، أو « وكلاء الله » (تى ١ : ٧) ، أو « وكلاء سرائر الله » (١ كو ٤ : ١) . وماذا أيضاً ؟

عهد الرب إليهم أيضاً بالتعليم ، الذى لم يعهد به لكل أحد .

التعليم

بعد أن عهد الرب لتلاميذه بالكرازة والتعميد ، قال لهم :

« وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٨ : ٢٠) .

وهكذا عكف الرسل على « خدمة الكلمة » (أع ٦ : ٤) ، الكلمة التى قال عنها القديس يعقوب الرسول « شاء فولدنا بكلمة الحق » (يع ١ : ١٨) ، الكلمة توصل إلى الإيمان ، والإيمان يوصل إلى المعمودية ، والمعمودية بها الميلاد الثانى . والأصل هو كلمة التعليم .

وكما قال القديس بولس الرسول عن علاقة المسيح بالكنيسة « لكى يقدسها مطهّراً إياها بغسل الماء بالكلمة » (أف ٥ : ٢٦) . فالكلمة توصل الإيمان ، والإيمان يوصل إلى المعمودية وغسل الماء . وهذا الغسل من الخطايا يؤدى إلى التطهير والتقديس .

وكما أن المعمودية والإيمان لهما علاقة بالخلاص (مر ١٦ : ٦) . كذلك كلمة التعليم ...

هى التى توصل إلى الإيمان والمعمودية ، ومن ثم إلى الخلاص . أو توصل إلى التوبة فالخلاص . وهكذا قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس الأسقف « لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . لأنك إن فعلت هذا ، تخلّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١تى ٤ : ١٦) .

الولادة من الله

بالكلمة ، والإيمان ، والمعمودية ، يصل الإنسان إلى الميلاد الثانى .

إذن الكنيسة تلد الناس بالإيمان والمعمودية .

تلدهم بالروح القدس « من الماء والروح » (يو ٣ : ٥) . تلدهم لله ، فيصيرون أبناء الله ... وفى هذا المعنى يقول القديس بولس الرسول فى رسالته إلى فليمون « أطلب إليك من أجل ابنى أنسيموس ، الذى ولدته فى قيودى » (فل ١٠) . و بولس الرسول كان بتولاً . وهو هنا يقصد الولادة الروحية لأنسيموس . و بالمثل يقول لأهل كورنثوس « وإن كان لكم ربوات من المرشدين ، لكن ليس آباء كثيرون . لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل » (١كو ٤ : ١٥) .

للكنيسة عمل آخر غير ولادة أبناء الله ، وهو :

منح الروح القدس

الكنيسة هى الوسيط فى منح الروح القدس للمؤمنين المعمدين :

هل يستطيع أحد أن يحيا حياة روحية بدون عمل الروح القدس فيه ؟ وإن كان هذا أمراً حيوياً لكل مؤمن ، فكيف ينال الروح القدس ؟

يقول الكتاب إنه لما علم الرسل أن أهل السامرة قبلوا الإيمان ، أرسلوا إليهم بطرس و يوحنا لإعطائهم الروح القدس « حينئذٍ وضعا الأيادى عليهم ، فقبلوا الروح القدس » (أع ٨ : ١٧) . و بالمثل حدث لأهل أفسس بعد عمادهم « لما وضع بولس يديه عليهم ، حلّ الروح القدس عليهم » (أع ١٩ : ٦) .

ثم صار منح الروح القدس بالمسحة المقدسة (١يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) .

وكيف ينال المؤمن هذه المسحة ؟ بواسطة الكنيسة طبعاً ، لأنه لا يمسح نفسه ... هل تقول إذن : لا وسيط ؟! لقد نلت الروح القدس عن طريق هذا الوسيط ...

والمسحة لها تاريخ طويل فى العهد القديم ، منذ أن أمر الرب موسى بعملها« دهناً مقدساً للمسحة » (خر ٣٠ : ٢٥) . ليمسح بها خيمة الإجتماع والمذابح والأوانى و يقدسها فتكون قدس أقداس » ، ويمسح بها هرون و بنيه كهنة (خر ٣٠ : ٢٥ - ٣٠ ، ٤ : ٩ - ١٦) و بالمسحة المقدسة مسح صموئيل الملوك فحلّ عليهم الروح القدس (١صم ١ : ١٠ ، ١٦ : ١٣) .

وهنا يذكّرنا بوساطة أخرى للكنيسة ، وهي :

إقامة خدّام الربّ

لا يمكن أن يبنى ملكوت الله بدون خدّام للرب . والله عهد بهذا الأمر إلى الكنيسة . خذوا مثلاً لذلك فى إقامة برنابا وشاول للخدمة . يقول الكتاب : « وبينما هم يخدمون الرب و يصومون قال الروح القدس : إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه » (أع ١٣ : ٢) .

على الرغم من هذه الدعوة الإلهية ، إلا أن ذلك كان لا بد أن يمر من خلال القنوات الشرعية ، أعنى الكنيسة ووضع اليد ...

يقول الكتاب « فصاموا حينئذٍ وصلوا ، ووضعوا عليهما الأيادى وأطلقوهما . فهذان إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية .. » (أع ١٣ : ٤)... فلم يعتبرا مرسلين من الروح القدس ، إلا بعد أن نالا وضع اليد من الكنيسة .

نفس الوضع تقريباً نراه بالنسبة إلى تيموثاوس الأسقف .

يقول له القديس بولس الرسول « أذكّرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التى فيك بوضع يدىّ » (٢تى ١ : ٦) . إنها موهبة من الله . ولكنها تنال بواسطة ، وهى وضع اليد من سلطة كهنوتية فى الكنيسة .

ومع أن البروتستانت يؤمنون بوضع اليد فى إقامة الخدام ـ والقياس مع الفارق ـ إلا أنهم لا يتكلمون عن الكنيسة كوسيط بين الله والناس ...

« ومن له أذنان للسمع فليسمع » (مت ١٣ : ٤٣) .

الرعاية والتوبة

هل ترك الله خرافه بدون رعاة ؟! كلا . يقول الرسول : « إحترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة ، لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) .

أقامهم الله للإهتمام بأولاده ، فهم وكلاؤه .

ولعل من أهم الأمور مصالحتهم مع الله بقيادتهم إلى التوبة . وفى هذا يقول القديس بولس الرسول « ... وأعطانا خدمة المصالحة ... إذن نسعى كسفراء عن المسيح ، كأن الله يعظ بنا . نطلب عن المسيح : تصالحوا مع الله » (٢ كو ٥ : ١٨ ، ٢٠) .

أليست هذه وساطة ؟! فى عمل صلح بين الله والناس .

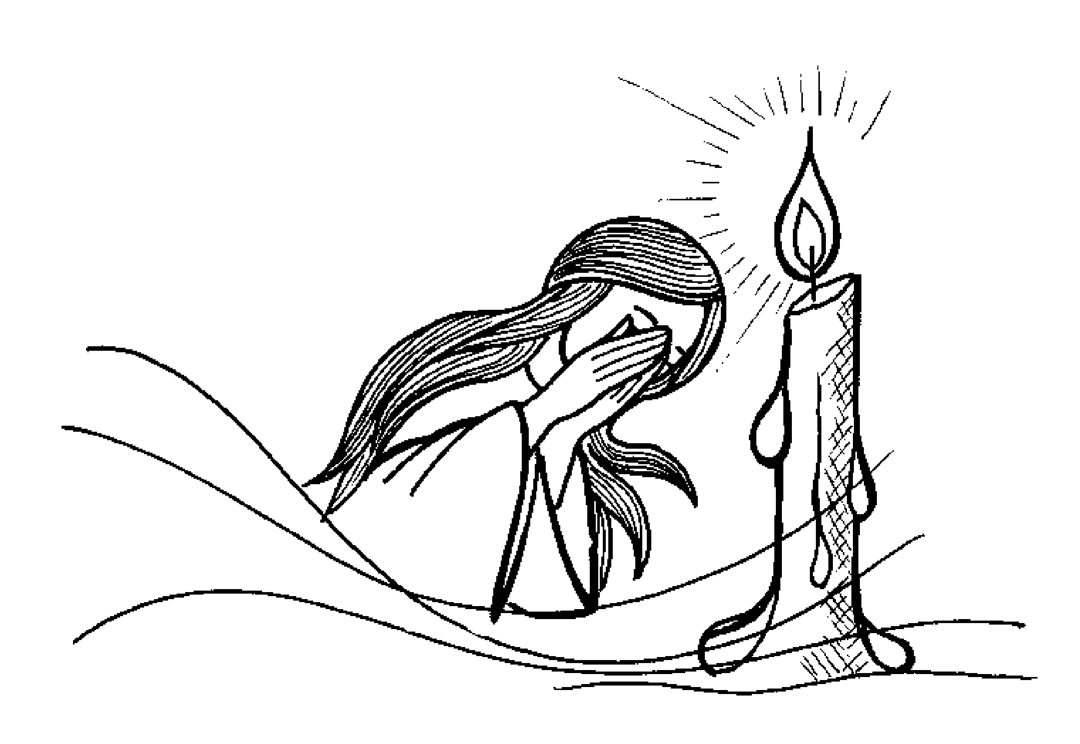
ليتنا إذن نقرأ هذا المقال من أوله ... ونرى عناصر الوساطة التى تقوم بها الكنيسة .

وكلها وساطة خاصة بالخلاص .

وهكذا يقول الرسول فى قيادة الناس إلى التوبة « من رد خاطئاً عن ضلال طريقه ، يخلّص نفساً من الموت ، و يستر كثرة من الخطايا » (يع ٥ : ٢٠) . وأيضاً « وخلصوا البعض بالخوف ، مختطفين من النار » (يه ٢٣) .

كما أن قيادة الناس للإيمان والمعمودية هى للخلاص أيضاً (مر ١٦ : ١٦) . والتعليم أيضاً هدفه الخلاص كذلك (١تى ٤ : ١٦) .

وكذلك باقى الأمور التى تقوم بها الكنيسة .



الفصل الحادى عشر

خلافات طقسيّة



الاتجــاه إلى الشرق

إننا نبنى كنائسنا متجهة إلى الشرق . ونصلى ونحن متجهون إلى الشرق، لأن الشرق يوجه قلوبنا إلى تأملات نعتز بها، حتى أصبح بالنسبة إلينا رمزاً. وأيضاً من أجل أهمية الشرق فى فكر الله كذلك. فإن كان الله قد اهتم به، فلنهتم به نحن أيضاً ...

* * *

١ ـ قبل أن يخلق الله الإنسان ، أعد له الشرق كمصدر للنور. ورأى الله النور أنه حسن وفى لغتنا نقول عن ظهور الشمس أنه شروقها . وأصبحت عبارة تشرق الشمس ، أى تظهر من الشرق، أى تنير. والشمس خلقت فى اليوم الرابع قبل خلق الإنسان فى اليوم السادس (تك ١).

وشروق الشمس رمز للسيد المسيح ونوره. وقد سمى الرب «شمس البر» وقيل «تشرق شمس البر، والشفاء فى أجنحتها» (ملاخى ٤ : ٢).

* * *

٢ ـ وقبل خلق الإنسان أيضاً ، غرس له الله جنة عدن شرقاً (تك ٢ : ٨)، ووضعه فيها ، وهناك أيضاً كانت شجرة الحياة ، وكانت الحياة الأولى للإنسان قبل الخطية ، وجنة عدن ترمز إلى الفردوس الذى نتطلع إليه .

وصار إتجاه الإنسان إلى الشرق، يرمز لتطلعه إلى الفردوس الذى حرمته منه الخطية ، ويرمز لتطلعه إلى شجرة الحياة .

* * *

٣ ـ نلاحظ أيضاً أن السيد المسيح ولد فى بلاد الشرق، والمجوس رأوا نجمه فى المشرق (متى ٢ : ٢). وكان هذا النجم يرمز إلى الإرشاد الإلهى . ولما تبعه المجوس

قادهم إلى الرب . ما أجمل هذا التأمل !

٤ ـ والمسيح الذى ولد فى الشرق ، ونجمه فى المشرق ، شبهت أمه العذراء بباب فى المشرق (حزقيال ٤٤ : ١، ٢) .

٥ ـ وهكذا نرى أن الخلاص قد أتى إلى العالم من الشرق . فالمسيح صلب أيضاً فى بلاد الشرق ، وهناك بذل دمه عن غفران خطايا العالم كله .

* * *

٦ ـ وفى المشرق بدأت الديانة والكنيسة . فى الشرق أورشليم ، مدينة الملك العظيم ، وفيه تأسست أول كنيسة فى العالم . ومن الشرق امتدت رسالة الإنجيل ، إلى العالم كله . وفيه سالت دماء أول شهيد فى المسيحية .

* * *

٧ ـ كذلك الكتاب المقدس تحدث كثيراً عن أن مجد الله فى المشرق .

ففى (أش ٢٤ : ١٥) « فى المشارق مجدوا الرب » وفى سفر حزقيال نبوءة عن مجىء المسيح فى مجده من المشرق . يقول « وإذا مجد إله اسرائيل جاء عن طريق المشرق ، وصوته كصوت مياه كثيرة ، والأرض أضاءت من مجده » (حز٤٣ : ١، ٢) .

* * *

٨ ـ لذلك فإن غالبية اللاهوتيين يقولون :

« إن المجىء الثانى سيكون من المشرق وكما صعد هكذا يأتى (أع ١ : ١١) ففى نبوءة زكريا (١٤ : ٣، ٤) أن « الرب تقف قدماه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون الذى قدام أورشليم من الشرق » .

* * *

٩ ـ الكلام عن الشرق جميل وذكرياته حلوة :

فى حزقيال (٤٧ : ١ ـ ٩) يتكلم عن « أنهار حياة فى المشرق »

وفى (٢مل١٣ : ١٧) يتكلم فى الشرق عن « سهم خلاص الرب » وفى

(أش ٢٤ : ١٥) «فى المشارق مجدوا الله» .

١٠ - إن الذكريات لها فى القلب تأثير :

ولها مفعولها الروحى فى النفس . ويعجبنى أن دانيال النبى حينما تحدى العبادات الوثنية، وصعد إلى عليته ليصلى، فتح الطاقة التى تطل على أورشليم، وركع وصلى ... حقاً إن الله موجود فى كل مكان، ولكن الاتجاه إلى أورشليم فى الشرق كان له معنى وتأثير عميق فى القلب، والذكريات تعطى القلب أهمية لأمكنة معينة، تثير ذكراها عواطف مقدسة .

* * *

١١ - إننا لسنا عقلاً صرفاً فى عبادتنا : فالحواس تعمل، وتتأثر، وتؤثر فى مشاعر الروح . ومثال ذلك . أننا نصلى ونرفع نظرنا إلى فوق، بينما الله موجود فى كل مكان... ولكن النظر إلى فوق، يحرك فى قلوبنا مشاعر روحية تعطى لصلاتنا عمقاً خاصاً . كذلك الاتجاه إلى الشرق...

والمسيح نفسه ، فى أكثر من مناسبة ، نظر إلى فوق ، مع أن الآب فيه وهو فى الآب . ولكن النظر إلى فوق له دلاله خاصة...

* * *

١٢ - ونحن حينما ننظر إلى الشرق ، إنما نتجه إلى المذبح الموجود فى الشرق، لأن الذبيحة لها فى قلوبنا مكانتها الروحية، والمسيح فصحنا، كان ذبيحة فى الشرق .

* * *

١٣ - وفى المعمودية ، بطريقة رمزية أيضاً ، يتجه المعمد وأشبينه نحو الغرب لجحد الشيطان، ثم يتجهان إلى الشرق لتلاوة قانون الإيمان، وبهذا يشعر أنه فى المعمودية ينتقل من الغرب إلى الشرق، أى من الظلمة إلى النور.

* * *

١٤ - ونحن نسأل : لماذا يحارب البروتستانت الشرق بكل ما يحمل من رموز ومن معان روحية وتأملات وذكريات مقدسة، تسندها نصوص من الكتاب المقدس . ولا يوجد فى ذلك أى خطأ عقيدى يثير الغيرة المقدسة ؟!

إكرام الصليب

من الخلافات التي بيننا وبين البروتستانت اكرامنا العجيب للصليب . ومن ذلك رشم الصليب . فهم لا يرشمون ذاتهم بعلامة الصليب قبل الصلاة ولا بعدها قائلين باسم الآب والابن والروح القدس . ولا يرشمون الطعام بعلامة الصليب قبل الأكل . ولا يستخدمون الصليب للبركة . لا في رشم الناس ، ولا في رشم الملابس .

ويكتفي البروتستانت بايمان قلوبهم بالصليب دون استخدامه . وكانوا إلى عهد قريب لا يعلقونه على الكنائس . وكثير منهم لا يعلقونه على صدورهم . وكلهم لا يمسكون صليباً في أيديهم . وهم أيضاً لا يحتفلون بأعياد الصليب ، ولا بموكب له ، ولا يطوفون به بالأناشيد والألحان .

وهم أيضاً لا يقبلون الصليب ، ولا يأخذون بركته .

وسنحاول الآن أن نشرح لماذا اهتمامنا هذا كله بالصليب . ونرى كيف أن رشم الصليب نافع ومفيد ، وأيضاً موافق لتعليم الكتاب المقدس .

* * *

١ ـ تركيز السيد المسيح على الصليب :

وذلك منذ بدء خدمته ، وفي أثناء تعليمه ، قبل أن يصلب .

فقد قال « من لا يأخذ صليبه ويتبعني ، فلا يستحقني (متى ١٠ : ٣٨) . وقال « إن أراد أحد أن يأتي ورائي ، فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعني » (متى ١٦ : ٢٤) ، (مر ٨ : ٣٤) . وفي حديثه مع الشاب الغني قال له « اذهب بع كل مالك واعطه للفقراء ... وتعال اتبعني حاملاً الصليب » . وقال أيضاً « من لا يحمل صليبه ويأتي ورائي ، لا يقدر أن يكون لي تلميذاً » (لو ١٤ : ٢٧) .

٢ ـ وقد كان الصليب موضع كرامة الملاك والرسل :

من الأشياء الجميلة أن الملاك المبشر بالقيامة قال للمريمتين « أنكما تطلبان يسوع المصلوب . ليس هو ههنا ، لكنه قد قام كما قال » (متى ٢٨ : ٥) . وهكذا سماه « يسوع المصلوب » مع أنه كان قد قام . وظل لقب المصلوب لاصقاً به وقد استخدمه آباؤنا الرسل . وركزوا على صلبه فى كرازتهم .

ففى كرازة القديس بطرس ، قال لليهود « يسوع الذى صلبتموه أنتم » (أع ٢ : ٣٦) . والقديس بولس الرسول يركز على هذه النقطة فيقول « لكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً » (١كو ١ : ٢٣) ، على الرغم من أن صلبه هذا كان يعتبر « لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة » .

و يعتبر الرسول أن الصليب جوهر المسيحية فيركز عليه قائلاً « لأننى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم ، إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » (١كو ٢ : ٢) . أى أن هذا الصليب هو الأمر الوحيد الذى أريد أن أعرفه .

* * *

٣ ـ وهكذا كان الصليب موضع فخر الرسل :

فيقول القديس بولس الرسول « وأما من جهتى ، فحاشا لى أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح » (غل ٦ : ١٤) . وإن سألناه عن السر فى هذا يكمل قائلاً « هذا الذى به قد صلب العالم لى ، وأنا للعالم » (غل ٦ : ١٤) .

* * *

٤ ـ ونحن حينما نرشم الصليب ، نتذكر كثيراً من المعانى اللاهوتية والروحية المتعلقة به :

نتذكر محبة الله لنا ، الذى من أجل خلاصنا ، قبل الموت عنا « كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا » (أش ٥٣ : ٦) . حينما نرشم الصليب نتذكر « حمل الله الذى حمل خطايا العالم كله » (يو ١ : ٢٩) (١يو ٢ : ٢) .

٥ ـ وفى رشمنا للصليب نعلن تبعيتنا لهذا المصلوب :

إن الذين يأخذون الصليب بمجرد معناه الروحى داخل القلب ، دون أية علامة ظاهرة ، لا يظهرون هذه التبعية علناً ، التى نعلنها برشم الصليب ، وبحمل الصليب على صدورنا . وبتقبيل الصليب أمام الكل ، وبرشمه على أيدينا ، وبرفعه على أماكن عبادتنا .

إننا بهذا كله ، إنما نعلن إيماننا جهاراً ، ولا نستحى بصليب المسيح أمام الناس ، بل نفتخر به ، ونتسمى به . ونعيد له أعياداً ... ونتمسك به ... حتى دون أن نتكلم . مجرد مظهرنا يعلن إيماننا .

* * *

٦ ـ إن الإنسان ليس مجرد روح ، أو مجرد عقل ، بل له أيضاً حواس جسدية يجب أن تحس الصليب بالطرق السابقة :

كما أنه ليس جميع الناس فى مستوى روحى واحد ، لا يحتاجون فيه إلى الحواس . إن الحواس تتغذى بكل ما سبق ، ولا تقتصر على ذاتها ، بل تنقل تأثراتها إلى العقل وإلى الروح .. وربما العقل لا يتذكر الصليب من تلقاء ذاته ، أو لا يتذكره كثيراً . ولكنه عن طريق الحواس ، حينما يرى الصليب مرسوماً أمامه ، يتذكر ما يختص بالصليب وبالمصلوب من مشاعر ومن معان روحية ولاهوتية ...

وهكذا نعبد الله روحاً وعقلاً وجسداً . وكل هذا يقوى بعضه بعضاً .

* * *

٧ ـ ونحن لا نرشم الصليب على أنفسنا فى صمت ، إنما نقول معه باسم الآب والابن والروح القدس :

وبهذا نعلن فى كل مرة عقيدتنا بالثالوث القدوس الذى هو إله واحد ، إلى الأبد آمين . وهكذا يكون الثالوث فى ذهننا باستمرار ، الأمر الذى لا يتاح للذين لا يرشمون الصليب مثلنا .

٨ ـ وفى الصليب أيضاً نعلن عقيدتى التجسد والفداء :

فنحن إذ نرشم الصليب من فوق إلى تحت ، ومن الشمال إلى اليمين ، إنما نتذكر أن الله نزل من السماء إلى تحت إلى أرضنا ، فنقل الناس من الشمال إلى اليمين ، من الظلمة إلى النور ، ومن الموت إلى الحياة ، وما أكثر التأملات التى تدور بقلوبنا وأفكارنا من رشم علامة الصليب .

* * *

٩ ـ وفى رشمنا للصليب تعليم دينى لأولادنا ولغيرهم :

كل من يرشم الصليب ، حينما يصلى ، وحينما يدخل إلى الكنيسة ، وحينما يأكل ، وحينما ينام ، وفى كل وقت ، إنما يتذكر الصليب . وهذا التذكر مفيد روحياً ومطلوب كتابياً . وفيه أيضاً تعليم الناس ، إن المسيح قد صلب وتعليم بالذات لأولادنا الصغار الذين يشبون من صغرهم متعودين على الصليب .

* * *

١٠ ـ وبرشمنا الصليب إنما نبشر بموت الرب عنا حسب وصيته :

وهذه وصية الرب لنا أن نبشر بموته (الذى لأجل فدائنا) إلى أن يجىء (١كو ١٠ : ٢٦) . ونحن برشم الصليب نتذكر موته كل حين ، نظل نتذكره إلى أن يجىء .

ونحن نتذكره كذلك فى سر الأفخارستيا . ولكن هذا السر لا يقام فى كل وقت ، بينما الصليب يمكن أن نرشمه فى كل وقت ، متذكرين موت المسيح عنا ...

* * *

١١ ـ وفى رشمنا للصليب ، نتذكر أن عقوبة الخطية موت :

لأنه لولا ذلك ما مات المسيح . كنا نحن «أمواتاً بالخطايا» (أف ٢ : ٥) ولكن المسيح مات عنا على الصليب واعطانا الحياة . وعلى الصليب إذ دفع الثمن قال للآب «يا أبتاه اغفر لهم» .

* * *

١٢ ـ وفى رشمنا الصليب نتذكر محبة الله لنا :

نتذكر أن الصليب ذبيحة حب . لأنه « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو٣ : ١٦) . ونتذكر أن الله بين محبته لنا ، لأننا ونحن بعد خطاة ، مات المسيح لأجلنا .. وصولحنا مع الله بموت ابنه » (رو٥ : ٨) .

فى الصليب نتذكر محبة الله لنا ، لأنه لا يوجد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل احبائه » (يو١٥ : ١٣) .

* * *

١٣ ـ ونحن نرشم الصليب لأنه يمنحنا القوة :

القديس بولس الرسول يشعر بقوة الصليب هذه فيقول « به صلب العالم لى ، وأنا للعالم » (غل٦ : ١٤) . و يقول أيضاً « إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة . وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » (١كو١ : ١٨) .

لاحظوا هنا أنه لم يقل إن عملية الصليب هى قوة الله ، إنما قال إن مجرد « كلمة الصليب » هى قوة الله .

لذلك نحن حينما نرشم علامة الصليب ، وحينما نذكر الصليب ، نمتلىء قوة . لأننا نتذكر أن الرب بالصليب داس الموت ، ومنح الحياة لكل الناس . وقهر الشيطان وغلبه ، ولذلك ...

* * *

١٤ ـ فنحن نرشم الصليب لأن الشيطان يخافه :

كل تعب الشيطان منذ آدم إلى آخر الدهور ، ضاع على الصليب ، إذ دفع الرب الثمن ، ومحا جميع خطايا الناس بدمه ، ممن يؤمنون و يطيعون لذلك فإن الشيطان كلما يرى الصليب يرتعب متذكراً هزيمته الكبرى وضياع تعبه ، فيخزى و يهرب .

وهكذا كان أولاد الله يستخدمون باستمرار علامة الصليب باعتبارها علامة الغلبة والانتصار ، أو هى قوة الله . فمن جهتنا نمتلىء قوة من الداخل ، أما عن العدو فى الخارج فهو يرتعب .

وكما كانت ترفع الحية النحاسية فى القديم شفاء للناس وخلاصاً من الموت، هكذا رفع رب المجد على الصليب (يو٣ : ١٤)، وهكذا علامة الصليب فى مفعولها .

* * *

١٥ ـ ونحن نرشم علامة الصليب فنأخذ بركته :

كان العالم كله يقع تحت حكم اللعنة بالموت بسبب الخطية . ولكن على الصليب حمل الرب كل لعناتنا لكى يمنحنا بركة المصالحة مع الله (رو٥ : ١٠) . وبركة الحياة الجديدة النقية، وبركة العطية فى جسده، وكل نعم العهد الجديد مستمدة من الصليب .

لذلك استخدم رجال الإكليروس هذا الصليب فى منح البركة، اشارة إلى أن البركة لا تصدر منهم شخصياً، إنما من صليب الرب الذى ائتمنهم على استخدامه فى منح البركة . ولأنهم يستمدون كهنوتهم من كهنوت هذا المصلوب .

وكل بركات العهد الجديد نابعة من صليب الرب وفاعليته .

* * *

١٦ ـ لذلك فكل الأسرار المقدسة فى المسيحية تستخدم فيها الصليب :

لأنها كلها نابعة من استحقاقات دم المسيح على الصليب .

فلولا الصليب، ما كنا نستحق أن نقترب إلى الله كابناء فى المعمودية وما كنا نستحق التناول من جسده ودمه فى سر الافخارستيا (١كو١١ : ٢٦) . وما كنا نستطيع التمتع ببركات أى سر من أسرار الكنيسة .

* * *

١٧ ـ ونحن نهتم بالصليب، لنتذكر الشركة التى لنا فيه :

نتذكر قول القديس بولس الرسول «مع المسيح صلبت . فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ» (غل٢ : ٢٠) . وقوله أيضاً «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته» (فى٣ : ١٠) . وهنا نسأل أنفسنا متى ندخل فى شركة آلام الرب ونصلى معه .

وهنا نتذكر اللص الذى صلب معه ، فاستحق أن يكون فى الفردوس معه .

ولعله صار فى الفردوس يغنى بالأغنية التى قالها القديس بولس فيما بعد «مع المسيح صلبت» ...

كل أمنياتنا أن نصعد على الصليب مع المسيح . ونفتخر بهذا الصليب الذى نذكره الآن كلما تلامس مع حواسنا .

* * *

١٨ ـ ونحن نكرم الصليب ، لأنه موضع سرور للآب :

الآب الذى تقبل المسيح على الصليب بكل سرور ، كذبيحة خطية ، وكمحرقة أيضاً «رائحة سرور للرب» (لا ١ : ٩ ، ١٣ ، ١٧) . وقال اشعياء النبى فى ذلك «أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن» (اش ٥٣ : ١٠) .

إن السيد المسيح أرضى الآب بكمال حياته على الأرض ، ولكنه دخل فى ملء هذا الارضاء على الصليب ، حيث أطاع حتى الموت ، موت الصليب» (فى ٢ : ٨) .

ففى كل مرة ننظر إلى الصليب نتذكر كمال الطاعة ، وكمال الخضوع لكى نتمثل بالسيد المسيح فى طاعته ، حتى الموت .

وكما كان الصليب موضع سرور للآب ، كان هكذا أيضاً بالنسبة إلى الابن المصلوب الذى قيل عنه «من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزى» (عب ١٢ : ٢) .

وهكذا كان ملء سرور المسيح فى صلبه . ليتنا نكون هكذا .

* * *

١٩ ـ وفى الصليب ، نخرج إليه خارج المحلة ، حاملين عاره (عب ١٣ : ١٢) .

بنفس شعورنا فى اسبوع الآلام... ونذكر فى ذلك ما قيل عن موسى النبى «حاسباً عار المسيح غنى اعظم من خزائن مصر» (عب ١١ : ٢٦) . وعار المسيح هو صلبه وآلامه .

٢٠ - نحمل صليب المسيح الذى يذكرنا بمجيئه الثانى :

كما ورد فى الإنجيل عن نهاية العالم ومجىء الرب « وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء (أى الصليب)... و يبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء ...» (متى ٢٤ : ٣٠) . فلنكرم علامة ابن الإنسان على الأرض ، مادمنا نتوقع علامته هذه فى السماء فى مجيئه العظيم .



الأنوار والشموع

الكنيسة الأرثوذكسية تتميز بأنوارها . وتستخدم الشموع فى صلواتها ، وعند قراءة الإنجيل ، وأمام أيقونات القديسين ، وعلى المذبح ، وأمامه فى شرقيته ، وفى الهيكل عموماً . وتبقى الكنيسة مضيئة باستمرار. ولها برج عال يسمى المنارة... والبروتستانتية لا تستخدم شيئاً من هذا كله ، بكل ما يحوى من رموز.

لذلك سنتعرض فى هذا المقال المختصر عن الأنوار فى الكنيسة والحكمة فيها ، وما تحويه من معان روحية .

١ - الكنيسة نفسها لقبت فى الكتاب المقدس بلقب منارة . وهذا واضح فى سفر الرؤيا . إذ رأى يوحنا الإنجيلى الرب يسوع وسط سبع منائر من ذهب . وكانت « المنائر السبع هى السبع الكنائس » (رؤ ١ : ٢٠) .

* * *

٢ - الكنيسة نشبهها بالسماء ، على اعتبار أنها بيت الله أو مسكنه كالسماء . وقد كان هذا هو تقريباً التعبير الذى أطلق على أول بيت لله ، إذ قال أبونا يعقوب أبو الآباء « ما أرهب هذا المكان . ما هذا إلا بيت الله ، وهذا باب السماء » (تك ٢٨ : ١٧) .

وفى تشبيه الكنيسة بالسماء ، ينبغى أن تضىء فيها الأنوار كالكواكب فى السماء .

* * *

٣ - أو قد تمتد الأنوار فى الكنيسة إلى ملائكة السماء ، أو الملائكة التى كانت تصعد وتنزل على السلم الذى رآه أبونا يعقوب فى بيت إيل (بيت الله) (تك ٢٨ : ١٢) . والملائكة يمكن أن يرمز إليهم النور ، إذ يسمون أيضاً بملائكة النور (٢كو ١١ : ١٤) .

* * *

٤ ـ أو قد ترمز أنوار الكنيسة إلى القديسين ، الذين يقول لهم الرب «فليضىء نوركم هكذا قدام الناس» (متى ٥ : ١٦) . وشبههم فى تلك المناسبة بالسراج الذى يوضع على المنارة (متى ٥ : ١٥) . وذكر الإنجيل أيضاً أن «الأبرار يضيئون كالشمس فى ملكوت أبيهم (متى ١٣ : ٤٣) . والقديس يوحنا المعمدان ـ كمثال ـ قال عنه السيد المسيح لليهود «كان هو السراج الموقد المنير. وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة» (يو ٥ : ٣٥) .

ولما كانت الكنيسة مملوءة بالملائكة وبالقديسين ، إذن ينبغى أن تكون مملوءة بالأنوار .

* * *

٥ ـ بل ينبغى أن تكون الكنيسة مملوءة بالأنوار، أولاً وقبل كل شىء لحلول الله فيها ، والله نور (١يو١ : ٥) . وقد قال السيد المسيح عن نفسه «أنا نور العالم» (يو٨ : ١٢) .

* * *

٦ ـ والكنيسة تضاء بالأنوار ، على مثال خيمة الاجتماع والهيكل وكلاهما كانتا مملوءتين بالأنوار. لا تنطفىء سرجهما أبداً . وأمر الرب باضاءة السرج بزيت الزيتون النقى ، ويشرف على هذا الأمر هارون وبنوه كفريضة أبدية . وقال فى ذلك «وأنت تأمر بنى اسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون نقى مرضوض نقياً للضوء لاصعاد السرج دائماً . فى خيمة الاجتماع خارج الحجاب الذى أمام الشهادة ، يرتبها هارون وبنوه من المساء إلى الصباح أمام الرب ، فريضة دهرية فى أجيالهم» (خر٢٧ : ٢٠ ، ٢١) .

هذا أمر إلهى ، أصدره الله الذى قال «ليكن نور ، فكان نور» فى اليوم الأول «ورأى الله النور أنه حسن» (تك ١ : ٣ ، ٤) .

* * *

٧ ـ والسرج التى تضاء بالزيت ، لها معنى روحى ، لأن الزيت يرمز للروح القدس . وكان يستخدم فى المسحة فيحل روح الرب . كما مسح صموئيل داود فحل عليه روح الرب (١صم١٦ : ١٣) وكما يذكر الإنجيل عن المسحة المقدسة (١يو٢ : ٢٠ ، ٢٧) .

وحتى الشموع التى نوقدها فى الكنيسة هى أيضاً من زيت . والسرج فى الكنيسة كانت فتائل تضيء بالزيت لنفس الرمز.

* * *

٨ ـ نلاحظ أن الله أمر بعمل منارة فى بيته ، سواء خيمة الاجتماع أو الهيكل وكانت السرج، والمنارة ، من الذهب النقى (خر٢٥ : ٣١) (خر٣٧ : ١٧) (٢أى ٤ : ٢٠) . وكل هذا يدل على اهتمام الله بالأنوار فى بيته .

* * *

٩ ـ كانت السرج تضاء باستمرار حسب أمر الرب . وكان اطفاء السرج وعدم الاهتمام باضاءتها يعتبر خيانة للرب تستحق العقوبة الشديدة . وفى هذا يقول الكتاب «لأن آباءنا خانوا وعملوا الشر فى عينى الرب إلهنا ، وتركوه... وأطفأوا السرج ، ولم يوقدوا بخوراً... فكان غضب الرب على يهوذا وأورشليم ، وأسلمهم للقلق والدهش..» (٢أى ٢٩ : ٦ ، ٧) .

كل هذا يرينا مدى اهتمام الرب باضاءة الأنوار فى بيته .

* * *

١٠ ـ ولاضاءة السرج معنى روحى عميق خاص ، يرمز إلى الاستعداد الدائم ، والسهر المستمر والاحتفاظ بعمل الروح القدس فى القلب . و يقول لنا الرب عن هذا الاستعداد «لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقدة وانتم تشبهون أناساً ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس... طوبى لاولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين» (لو١٢ : ٣٥- ٣٧) .

وضرب الرب لنا مثلاً بالعذارى الحكيمات اللائى كانت مصابيحهن موقدة، بينما الجاهلات انطفأت مصابيحهن (متى ٢٥ : ١ - ١٢) .

إن الزيت فى المصابيح يرمز إلى عمل الروح القدس فى القلب واستمراره موقداً يرمز إلى السهر الدائم فى حفظ القلب مرتبطاً بعمل الروح فيه .

* * *

١١ ـ وما يقال عن الافراد يقال عن الكنيسة كلها . ورؤية الناس للنور فى الكنيسة يوحى إليهم بواجبهم فى احتفاظهم بالنور داخلهم ، وأن تكون مصابيحهم

دائماً موقدة. ويتذكرون أن الكنيسة من العذارى الحكيمات اللائى احتفظن بمصابيحهن مضيئة.

★ ★ ★

١٢ - أما اضاءة الشموع وقت قراءة الإنجيل، فهذا بلا شك أفضل من قراءته بدون اضاءة. إن ذلك يذكرنا بقول المزمور «سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى» (مز ١١٩). وأيضاً يقول المرتل «وصية الرب مضيئة تنير العينين عن بعد» (مز ١٩).

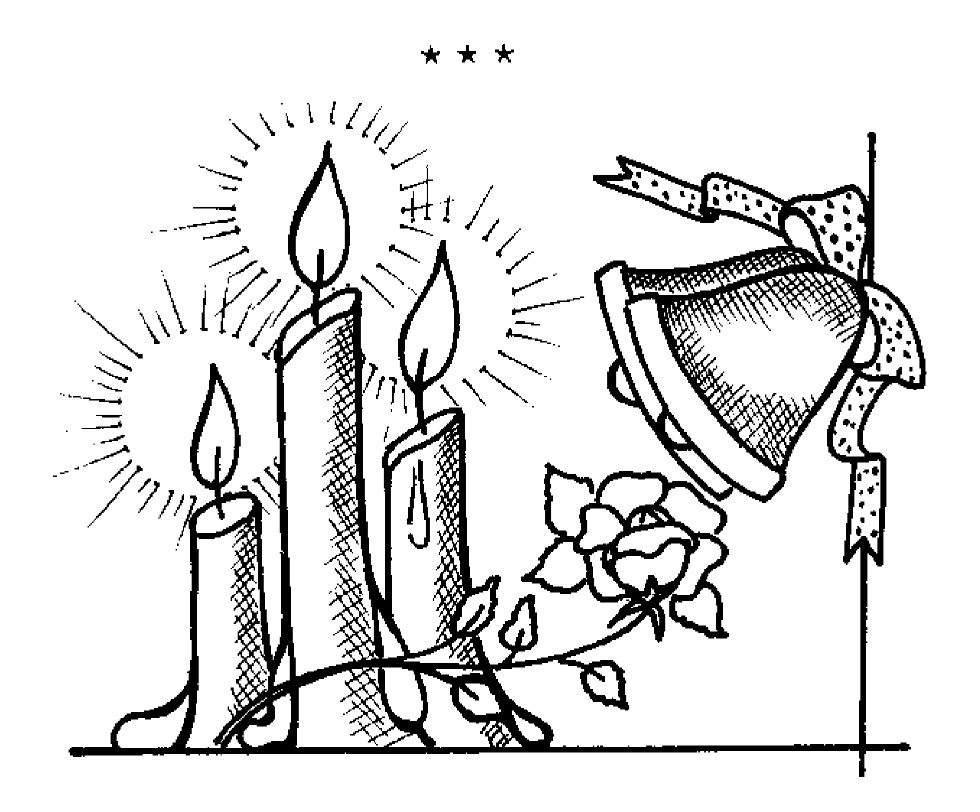
★ ★ ★

١٣ - والكنيسة الأولى منذ عصر الرسل كانت مهتمة بهذه الأنوار وما تحمله من رموز «ويسجل لنا سفر أعمال الرسل عن العلية التى كان يعظ فيها بولس بعد كسر الخبز، أنه «كانت مصابيح كثيرة فى العلية التى كانوا مجتمعين فيها» (أع ٢٠ : ٨).

★ ★ ★

١٤ - والشموع التى نضعها أمام صور القديسين، إنما تذكرنا بأنهم كانوا أنواراً فى أجيالهم. وبأنهم كانوا كالشموع، يذوبون لكى «يضىء نورهم هكذا قدام الناس».

★ ★ ★



البخـــور

البروتستانت لا يستخدمون البخرو، ولا المباخر (المجامر). و يعتبرون ذلك من عبادات العهد القديم التى انتهت، لأنها فى اعتقادهم كانت مجرد رمز.

ونود هنا أن نستعرض تاريخ البخور قديماً وحديثاً.

ونرى هل كان رمزاً أم عملاً روحياً قائماً بذاته.

* * *

١ ـ قال الرب لموسى «وتصنع مذبحاً لايقاد البخور» (خر٣٠ : ١).

و يقدم الرب لنا هنا ملاحظة جميلة جداً. وهى أن البخور كان يعتبر فى حد ذاته ذبيحة يقدمونها على مذبح يسمى مذبح البخور.

٢ ـ وقد اهتم الرب بمذبح البخور اهتماماً شديداً، فأمر أن يكون مغشى بالذهب من كل ناحية، وله اكليل من ذهب، ويحمل على عصوين مغشيين بالذهب. و يوضع قدام الحجاب الذى أمام تابوت العهد (خر٣٠ : ٣ـ ٦). حيث يجتمع الله بموسى.

٣ ـ كان يشترط فى البخور أن يكون «بخوراً عطراً».

و يقول الرب فى ذلك «و يوقد عليه هارون بخوراً عطراً كل صباح» (خر٣٠ : ٧). وكذلك فى العشية «بخوراً دائماً أمام الرب فى أجيالكم» (خر٣٠ : ٨).

وقد ذكرت مواد البخور العطرية فى (خر٣٠ : ٣٤). وقيل عن هذا البخور «يكون عندك مقدساً للرب» (خر٣٠ : ٣٧) بل قيل أكثر من هذا أنه «قدس أقداس» يكون عندكم (خر٣٠ : ٣٦). فلا يصنع أحد منه لنفسه....

وقد تكررت عبارة البخور العطر فى مواضع كثيرة من الكتاب، كما فى (خر٢٥) (خر٣٧ : ٢٩)، (لا١٦ : ١٢). فكان البخور يمثل رائحة زكية عطرة تصعد إلى الرب.

٤ ـ قال البعض خطأ أن البخور كان يقدم مع المحرقات ، لازالة رائحتها .

وقد الغيت الذبائح الحيوانية ، فألغى البخور.

وهذا الفهم ليس سليماً . فالبخور كان لوناً من العبادة مستقلاً بذاته ، وكان له مذبح خاص غير مذبح المحرقة . وكان له طقس خاص فى تقديمه . وكان مقصود لذاته كصلاة ، وليس رمزاً لشيء ، كما سنرى .

٥ ـ نلاحظ أنه عندما ضرب الرب الشعب بالوباء ، أوقد هارون رئيس الكهنة البخور بأمر موسى النبى ، ليشفع فى الناس أمام الله . ولما دخل فى وسطهم و بخر انقطع الوبأ وقبل الله منه هذا البخور كصلاة (عدد ١٦ : ٤٤ ـ ٤٨) .

ونلاحظ هنا أنه لم تقدم ذبيحة عنهم ، إنما قدم البخور وحده ، ولم يكن من أجل رائحة محرقات ، إنما قدم للتكفير عن الشعب ، كأنه ذبيحة (عد ١٦ : ٤٦ ، ٤٧) .

* * *

٦ ـ من أهمية البخور ، أنه ما كان يقدمه أحد سوى الكهنة فقط .

وهو هنا يبدو فى مركز أعلى من الصلاة ، لأن الصلاة يقدمها لله أى فرد من الشعب . ونلاحظ أنه لما تجرأ قورح وداثان وابيرام ، وقربا بخوراً ، انشقت الأرض وابتلعتهم جميعاً أحياء ، هم وكل بيوتهم (عد ١٦ : ٣١ ، ٣٢) . ولم يكن ذلك بسبب تقديمهم ذبيحة ، وإنما لتقديمهم بخوراً ، مع أنهم من سبط لاوى ...

٧ ـ ومن أهمية البخور ، أنه كان يقدم فى مجامر من ذهب كما ورد فى (عب ٩ : ٤) ، وكما قيل عن الأربعة والعشرين قسيساً أنه كانت لهم «جامات من ذهب مملوءة بخوراً» (رؤ ٥ : ٨) .

* * *

وقد وردت نبوءة فى سفر ملاخى النبى عن استمرار البخور وعدم اقتصاره على العصر اليهودى .

إذ قال الرب «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم بين الأمم . وفى كل مكان يقربون لاسمى بخوراً وتقدمة طاهرة» (ملا ١ : ١١) . وطبعاً العبادة وسط الأمم (فى كل مكان) لم تحدث إلا فى العصر المسيحى . و بهذا يكون الرب قد جعل

البخور من بنود العبادة المسيحية .

* * *

٩ ـ ومن اهتمام الرب بالبخور فى العهد الجديد ورود مثالين عنه فى سفر الرؤيا وهما :

أ ـ قيل عن الأربعة والعشرين قسيساً (كاهناً) ، إن لهم جامات من ذهب مملوءة بخوراً هى صلوات القديسين » (رؤ ٥ : ٨) .

ب ـ يقول القديس يوحنا الرائى « وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ، ومعه مجمرة من ذهب . واعطى بخوراً كثيراً ، لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش . فصعد دخان البخور مع صلوات القديسين من يد الملاك أمام الله » (رؤ٨ : ٣ ، ٤) .

١٠ ـ تعليقاً على عبارة « صعد دخان البخور مع صلوات القديسين » نقول إن حياة الكنيسة كلها بخور .

* * *

بل أن الكنيسة شبهت فى سفر النشيد بالبخور.

وذلك حينما قال عنها الوحى الإلهى « من هذه الطالعة من البرية ، كأعمدة من دخان ، معطرة بالمر واللبان وكل أذرة التاجر » (نش ٣ : ٦) .

* * *

١١ ـ ومن المواقف الجميلة أيضاً فى قصة تاريخ البخور فى حياة القديسين :

أن زكريا الكاهن ظهر له ملاك الرب واقفاً على يمين مذبح البخور ، فيما هو يبخر فى دورته (لو ١ : ٨ ـ ١١) . مما يدل على قدسية هذا الموضع ، وقدسية عملية التبخير. واستحقاق هذه المناسبة المقدسة لأن تصحب بالاعلانات الإلهية .

وواضح من قصة نوبة زكريا الكاهن فى التبخير، أن رفع البخور كان عملاً قائماً بذاته ، غير مرتبط بتقديم ذبيحة أو محرقة .

* * *

١٢ ـ من أهمية البخور فى المسيحية .

أن اللبان (مادة البخور) كان من الهدايا التى قدمها المجوس للسيد المسيح .

وكانت رمزاً لكهنوته ، أو اعترافاً من المجوس بكهنوته ، كما كان الذهب رمزاً لملكه ، والمر رمزاً لآلامه .

* * *

١٣ ـ للبخور معان كثيرة تشبع الحواس وتغذى النفس .

وليس جميع الذين يحضرون إلى الكنيسة من المستوى الذى يشترط فيه عمق الروح وعمق التفكير... فالاطفال مثلاً ، الذين لا يدركون كثيراً ما يقال فى العظات ، وما يسمعونه من القراءات ، حتى ما يسمعونه من الصلوات هؤلاء يتأثرون روحياً بحواسهم من جهة البخور والشموع والايقونات وتكون كدروس روحية لهم تنقلهم إلى جو روحى . وهكذا الكثير من العوام ، والمؤمنين العاديين غير المتبحرين فى العلم والمعرفة وغير الدارسين لكتب اللاهوت .

* * *

فماذا فى البخور من معان روحية ، ومن تأملات ؟

١٤ ـ أول درس يتلقونه من البخور ، هو قول الرب « من أضاع حياته من أجلى يجدها » (متى ١٠ : ٣٩) .

ومثال ذلك حبة البخور التى تحترق وتحترق ، حتى تتحول إلى أعمدة معطرة من دخان . وتبحث عنها فى المجمرة كحبة بخور ، فلا تجدها ، إذ تكون قد قدمت ذاتها محرقة لله . فالمحرقات ليست فقط من الذبائح ، وإنما من البخور أيضاً ، الذى اعتبره الكتاب ذبيحة تقدم على مذبح البخور ، وتعطينا درساً وأى درس .

فما أجمل أن يقدم الإنسان ذاته محرقة للرب . كل تقدمة أخرى هى خارج الذات . أما تقدمة الذات فإنها أعظم التقدمات .

وتقدمة الذات يمثلها وضع حبة البخور فى النار . وقد قيل عن إلهنا أنه نار آكلة (تث ٤ : ٢٤) . وقد كان القديسون حبات من البخور وضعت فى المجمرة الإلهية ، فاحترقت بمحبة الله .

* * *

١٥ ـ والدرس الثانى فى البخور هو الصعود إلى فوق باستمرار :

لا يقبل البخور على نفسه اطلاقاً أن يقبع فى أسفل، بل هو يرتفع فى السماء، ويمتد و ينتشر، ولا يتوقف مطلقاً فى صعوده، وفى انتشاره. وأنت إذا نظرت إلى البخور وتابعته، لابد أن ترفع عينيك إلى فوق إلى السماء، أردت أو لم ترد. وهكذا كان البخور باستمرار يجذب حواس الناس إلى فوق. وكأنه سهم يشير إلى السماء باستمرار.

* * *

١٦ ـ درس آخر للبخور: أنه يمثل الرائحة الزكية:

ولهذا كان الكتاب يشترط فيه أن يكون بخوراً عطراً. كل من يشم هذا البخور يتذكر أن حياة الإنسان ينبغى أن تكون عطرة الرائحة أمام الله.

وكما قال الكتاب «لأننا رائحة المسيح الزكية لله...» «يظهر بنا رائحة معرفته فى كل مكان» (٢كو٢: ١٥، ١٤).

* * *

١٧ ـ ومن أجمل ما فى البخور من تأملات أنه يذكرنا بالضباب أو السحاب الذى كان الله يظهر فيه:

وكما قال الرب «لأنى فى السحاب أتراءى على الغطاء» (غطاء تابوت العهد) (لا ١٦: ٢). وهكذا وردت فى سفر اللاويين عبارة «سحابة بخور» (لا ١٦: ١٣). وقيل عن هارون رئيس الكهنة «يأخذ ملء المجمرة جمر نار عن المذبح من أمام الرب، وملء راحتيه بخوراً عطراً، و يدخل بهما إلى داخل الحجاب. ويجعل البخور على النار أمام الرب، فتغشى سحابة البخور الغطاء الذى على الشهادة، فلا يموت» (لا ١٦: ١٢، ١٣).

وكان الله فى ارشاد شعبه فى العهد القديم، سواء فى خيمة الاجتماع، أو فى الهيكل، أو فى برية سيناء، يظهر للناس فى السحاب، أو فى الضباب. وكان ارشاده للشعب فى برية سيناء، على هيئة سحابة تظللهم فى النهار، تمثل الله وهو يظلل عليهم، فإذا تحركت السحابة يعرفون أن الله يحركهم فيتحركون، وإن وقفت السحابة يقفون» (عدد ٩: ١٧). وهكذا قيل «وكانت سحابة الرب عليهم نهاراً فى ارتحالهم» (عد ١٠: ٣٤).

١٨ - وفى مجىء المسيح إلى مصر، قيل إنه على سحابة (أش ١٩ : ١) . وكانت السحابة ترمز إلى العذراء، وكانت العذراء رائحة بخور صعدت إلى فوق . وفى مجىء المسيح الثانى سيأتى أيضاً على السحاب (متى ٢٤ : ٣٠) . فالسحاب كان يمثل حضور الله فى العهدين القديم والجديد .

١٩ - وفى قصة التجلى نجد مثالاً لحضور الرب فى السحاب :

لقد قيل إنه بينما كان السيد المسيح يكلم تلاميذه الثلاثة «كانت سحابة تظللهم . فخافوا عندما دخلوا فى السحابة . وصار صوت من السحابة قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب . له اسمعوا» (لو ٩ : ٣٤ ، ٣٥) .

٢٠ - وهكذا كان الرب يكلم موسى من السحاب . وحينما كلم الرب موسى يقول الكتاب «فصعد موسى إلى الجبل . فغطى السحاب الجبل . وحل مجد الرب على جبل سيناء ، وغطاه السحاب ستة أيام . وفى اليوم السابع دعى موسى من وسط السحاب» (خر ٢٤ : ١٥، ١٦) .

وبالمثل حينما كان يكلمهم من خيمة الاجتماع ، وكان يغطيها السحاب أو الضباب .

٢١ - نفس الأمر نجده فى تدشين هيكل سليمان . يقول الكتاب «وكان لما خرج الكهنة من القدس ، أن السحاب ملأ بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب . لأن مجد الرب ملأ البيت . «حينئذ تكلم سليمان : قال الرب أنه يسكن فى الضباب ...» (١مل ٨ : ١٢) .

* * *

٢٢ - فالبخور يمثل سحاباً أو ضباباً يذكر بحلول الله أو مجد الله . وفى (مز ٩٧ : ٢) من مزامير الساعة التاسعة يقول «السحاب والضباب حوله . ركب على السحاب وطار . طار على أجنحة الرياح» .

البخور إذن فيه الكثير من المعانى الروحية لمن يحب أن يستفيد منه وهو لون من العبادة ، قائم بذاته ، لم يكن مرتبط بالذبائح بحيث يزول بزوالها .

* * *

٢٣ ـ وأخيراً نقول أنه لا يوجد نص واحد فى العهد الجديد يأمر بالغاء البخور.

« من له اذنان للسمع فليسمع ، ما يقوله الروح للكنائس » (رؤ ٢، ٣) .



الهيكل والمذبح

لا يوجد هيكل ولا مذبح فى كنائس البروتستانت ، لسبب أكثر خطورة هو أنه لا توجد ذبيحة . فمن جهة الذبيحة سنتحدث عنها حينما نطرق موضوع سر الافخارستيا ، وموضوع سر الكهنوت ، أما الآن فيقتصر حديثنا على المذبح :

١ ـ الحديث عن المذبح موجود بكثرة فى العهد القديم . ولكن البروتستانت يرونه مجرد رمز لذبيحة المسيح على الصليب . وقد انتهى أمره ، لذلك علينا فى الحوار معهم أن نأتى بنصوص من الكتاب عن المذبح فى العهد الجديد .

* * *

٢ ـ يقول القديس بولس الرسول « لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه » (عب ١٣ : ١٠) . والمقصود بالمسكن هو خيمة الاجتماع أو الهيكل القديم .

و يعلق القديس يوحنا ذهبى الفم على ذلك فيقول إن بولس الرسول انتقل من الرمز إلى الأصل ... وأنه أصبح لنا سلطان أن نتناول من الدم الذى كان من سلطان الكاهن وحده .

* * *

٣ ـ توجد نبوءة فى سفر اشعياء النبى عن المذبح فى وسط أرض مصر بالذات ، إذ يقول « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر ، وعمود للرب عند تخمها . فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر... فيعرف الرب فى مصر . و يعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ، و يقدمون ذبيحة وتقدمة .. » (اش ١٨ : ١٩ ـ ٢١) .

وطبعاً المقصود بهذا المذبح ، هو مذبح العهد الجديد ، فى العصر المسيحى ، لأن اليهود ما كانوا يقدمون أية ذبيحة فى أرض أممية . كما أن مصر ما كانت تسمح

لهم. لذلك كان هذا هو النداء الموجه إلى فرعون أيام موسى وهارون «اطلق شعبى ليعبدنى» (خر٨: ٢٠)، فأبى أن «يطلق الشعب ليذبح للرب» (خر٨: ٢٩). وفرعون لما قدم وعده الأول بعد ضربة الذباب قال «أنا أطلقكم لتذبحوا للرب فى البرية» (خر٨: ٢٨). من كل هذا يفهم أنهم ما كانوا يقدرون أن يقدموا ذبيحة فى مصر.

فمتى عرف المصريون الرب؟ ومتى صار لهم مذبح، وقدموا ذبائح للرب؟ إنه العصر المسيحى بلاشك.

وهذا دليل واضح على وجود مذبح فى المسيحية تقدم عليه الذبائح.

* * *

٤ ـ ولأن الرب أراد أن تكون كلمة المذبح راسخة فى أفكار وقلوب الناس، ذكر هذه الكلمة أكثر من مرة فى سفر الرؤيا الذى كتب فى أواخر القرن الأول للميلاد، بعد استشهاد جميع رسل وتلاميذ المسيح.

قال القديس يوحنا الإنجيلى «وجاء ملاك آخر، ووقف عند المذبح، ومعه مبخرة من ذهب، وأعطى بخوراً كثيراً...» (رؤ٨: ٣).

وقال أيضاً «رأيت تحت المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التى كانت عندهم» (رؤ ٦: ٩).

* * *

٥ ـ إن المذبح سيظل قائماً، طالما كانت أمامنا عبارات الوحى الإلهى التى تقول «جسد الرب ودمه» (١كو١١: ٢٧). مادام هناك دم، إذن فبالضرورة يكون هناك مذبح. وبالضرورة يوجد هيكل يحوى المذبح داخله.

وسنناقش هذا الموضوع بالتفصيل بمشيئة الرب حينما نعرض لموضوع الذبيحة المقدسة والكاهن خادم المذبح.

* * *

الصّور والأيقونات

ينكر البروتستانت ما فى الكنيسة من صور وأيقونات (وما عند الكاثوليك من تماثيل). و يعتبرون كل ذلك ضد الوصية الثانية التى يقول فيها الرب «لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق، وما فى الأرض من تحت، وما فى الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن» (خر ٢٠: ٤، ٥) (تث ٥: ٨، ٩).

وقد قامت حرب ضد الايقونات فى القرن الثامن الميلادى من سنة ٧٢٦م أيام الامبراطور ليو الثالث، واستمرت بضعة قرون وهدأت. ثم عادت مرة أخرى فى البروتستانتية منذ القرنين الخامس العشر والسادس عشر واستمرت فى معتقداتهم حتى الآن.

والمتطرفون من البروتستانت يعتبرون الايقونات من بقايا الوثنية!

و يلوموننا على اكرام الايقونات وتقبيلها وايقاد الشموع أمامها والسجود أمامها.

وسنحاول أن نرد على كل هذا، ونبين حكمة الكنيسة فى وجود الايقونات فيها وفائدة ذلك روحياً.

* * *

١ ـ فى الرد على موضوع الايقونات ينبغى أن نضع أمامنا الآتى:

أ ـ الحكمة فى الآية التى يستخدمونها. لماذا قيلت وما هدفها؟ وذلك لأن «الحرف يقتل» كما قال الرسول (٢كو٣: ٦).

ب ـ ما هى الآيات الأخرى التى إن وضعناها إلى جوار هذه الآية يتكامل المعنى. وندرك فى وصية الله الروح وليس الحرف. وقد شرحنا كثيراً من قبل خطورة استخدام الآية الواحدة.

٢ ـ ماذا كان هدف الرب من منع الصور والتماثيل؟

الهدف واضح وهو قول الرب «لا تسجد لهن ولا تعبدهن». فإن كان الغرض بعيداً تماماً عن العبادة، لا تكون الوصية قد كسرت.

ولاشك أن هذا المنع فى الوصايا العشر، كان فى عصر انتشرت فيه الوثنية، وكان هناك خوف على المؤمنين منها، حتى أنه كان من الممنوع نحت أى حجر حتى فى البناء العادى، وحتى فى تشييد المذابح.

* * *

٣ - ونحن نرى أن الله الذى أمر بعدم نحت أية صورة أو تمثال، هو نفسه الذى يأمر موسى (عند ضربة الحيات المحرقة) قائلاً له «اصنع لك حية محرقة، وضعها على راية، فكل من لدغ ونظر إليها يحيا» (عدد ٢١ : ٨). فصنع موسى هكذا، ولم تكن فى ذلك مخالفة للوصية الثانية.

بل إن ربنا يسوع المسيح يعلمنا أن هذا العمل كان رمزاً لصليبه المقدس، فيقول «وكما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان. لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو٣ : ١٤).

٤ - وعندما أمر الرب موسى بصنع تابوت العهد، أمره بصنع كاروبين من ذهب فوقه قائلاً: «وتصنع كاروبين من ذهب، صنعة خراط تصنعها على طرفى الغطاء. فاصنع كاروباً واحداً على الطرف من هنا، وكاروباً آخر على الطرف من هناك... ويكون الكاروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق، مظللين باجنحتهما على الغطاء، ووجهاهما كل واحد إلى الآخر... وأنا اجتمع بك هناك، وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكاروبين اللذين على تابوت الشهادة...» (خر٢٥ : ١٧- ٢٢). وكان كذلك.

ولم يكن فى نحت هذين الكاروبين مخالفة للوصية التى تأمر بعدم نحت تمثال منحوت مما فى السماء من فوق... لأن الغرض لم يكن هو عبادة الملائكة ممثلين فى هذين الكاروبين...

بل على العكس تم نحت هذين التمثالين بأمر إلهى، كما تم نحت الحية النحاسية بأمر إلهى أيضاً...

* * *

٥ - وبنفس الأسلوب صنع سليمان فى بناء الهيكل وتزيينه . عمل كاروبين من خشب الزيتون علو الواحد عشر أذرع ، وخمس أذرع جناح الكاروب الواحد ، وخمس أذرع جناح الكاروب الآخر... قياس واحد ، وشكل واحد ، للكاروبين... وجعل الكاروبين فى وسط البيت الداخلى ، وبسطوا أجنحة الكاروبين... وغشى الكاروبين بالذهب » (١مل ٦ : ٢٣ - ٢٨) .

٦ - ولم يقتصر الأمر على هذين الكاروبين ، بل يقول الكتاب « وجميع حيطان البيت (بيت الرب) فى مستديرها رسمها نقشاً بنقر كاروبين ونخيل وبراعم زهور من داخل وخارج » (١مل ٦ : ٢٩) . وعمل للباب مصراعين « ورسم عليهما نقش كاروبيم ونخيل وبراعم زهور وغشاهما بذهب » (١مل ٦ : ٣٢)... انظر أيضاً (١مل ٦ : ٣٥)...

وهكذا كان بيت الرب مزيناً بالصور والرسوم والتماثيل . وظل الناس يعبدون الرب . ولم يعبدوا هذه الصور والتماثيل ، ولم يخالفوا الوصية الثانية...

* * *

٧ - كذلك لم يكن تابوت العهد فى كل احترام الكهنة والشعب والملوك له ، يمثل شيئاً على الاطلاق من العبادة الوثنية . إن الكتاب يسجل لنا أنه بعد انهزام الشعب فى عاى ، أن يشوع بن نون خليفة موسى النبى سجد أمام تابوت العهد إلى المساء هو وشيوخ اسرائيل ، وصلى للرب... (يش ٧ : ٦) . ولم يحدث أن الرب قال له « قد كسرت الوصية الثانية » . بل على العكس كلمه الرب . وصنع معجزة فى كشف عخان بن كرمى ، ودفع الرب عاى إلى يدى يشوع ورفع وجهه .

ولم يخطىء يشوع فى السجود أمام تابوت الرب لأنه لم يكن يعبد التابوت بل الرب الذى يحل عليه ويكلمه من بين الكاروبين . وهكذا لم يخطىء داود النبى حينما احتفل برجوع التابوت بكل اكرام ورقص قدامه (٢صم ٦ : ١٢ - ١٥) .

* * *

٨ - وبالمثل ، نقول إننا لا نعبد الصور ولا الأيقونات وإنما نكرمها . وفى ذلك نكرم أصحابها ، حسب قول الرب لتلاميذه « إن كان أحد يخدمنى ، يكرمه الآب » (يو ١٢ : ٢٦) . فإن كان الآب يكرم قديسيه ، ألا نكرمهم نحن ؟!

٩ ـ ونفس الكلام نقوله عن الصليب ، الذى قال عنه القديس بولس الرسول لأهل غلاطية « ..أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً » (غل ٣ : ١) .

* * *

١٠- ونحن نشكر الله أن أخوتنا البروتستانت يرفعون الصليب حالياً فوق كنائسهم دون أن يعتبروه تمثالاً منحوتاً .

* * *

١١ ـ ونحن نشكر الله أن أخوتنا البروتستانت يوزعون صوراً فى مدارس الأحد عن السيد المسيح ، والملائكة والأنبياء ، وفلك نوح بكل ما يحوى من حيوانات وكذلك صورة الراعى الصالح وغنمه ، وصورة داود وهو يرعى ، وصورة إيليا والغربان تعوله ، ولعازر المسكين والكلاب تلحس قروحه ... وصورة بلعام.... وصورة الشيطان وهو يجرب المسيح على الجبل...

ولا يتعبهم فى كل ذلك شك من جهة كسر الوصية الثانية برسوم وصور مما فوق السماء ، وما تحت الأرض...

* * *

١٢ ـ إننا لا ننسى تأثير الصور كدروس تشرح أحداث الكتاب ، وأبطال الإيمان فيه وفى التاريخ . وربما تترك الايقونة تأثيراً عميقاً فى النفس أكثر مما تتركه العظة أو القراءة أو مجرد الاستماع...

وفى كل هذا تربط بين المؤمنين ههنا وملائكة السماء والأبرار الذين يعيشون فى الفردوس . وتعطينا دفعاً داخلياً قوياً ننفذ فيه قول الرسول « اذكروا مرشديكم ... تمثلوا بايمانهم » (عب ١٣ : ٧) .

* * *

١٣ ـ ونحن فى اكرام الصور، إنما نكرم أصحابها ... وحينما نقبل الإنجيل إنما نظهر حبنا لكلمة الله ، ولله الذى أعطانا وصاياه لارشادنا . وحينما نسجد للصليب فإنما

ـ كما قال أحد الآباء ـ نسجد للمصلوب عليه . وفى كل ذلك لا تنطبق علينا مطلقاً عبارة «لا تسجد لهن ولا تعبدهن» .

* * *

١٤ ـ والمعروف أن الايقونات ترجع إلى العصر الرسولى نفسه . و يقال إن القديس لوقا الإنجيلى كان رساماً وقد رسم صورة أو أكثر للسيدة العذراء مريم .

و يروى التقليد أيضاً قصة عن انطباع صورة للسيد المسيح فوق منديل والذى يتتبع التاريخ يجد أن أقوى عصور الإيمان كانت حافلة بأيقونات يوقرها الناس ، دون أن تضعف إيمانهم بل على العكس كانت تقو يه .



١٥ ـ لماذا نحرم الفن ورجاله من المساهمة فى تنشيط الحياة الروحية للناس ، بما تتركه الصور فى نفوسهم من مشاعر روحية ، وما تقدمه لهم من حياة القديسين وتأثيرها .



الفهرست

صفحة